
AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00996 5348

مكتبة الجيب

الحديقة

مجموعة أدبٍ بارع، وحكمةٍ بليغة، وتهذيبٍ قومي

جمعها ووقف على طبعها

محب الدين الخطيب

الجزء الخامس

القاهرة

١٣٤٦

عُنيت بنشرها

المطبعة السلفية - ومكتبتها

بشارع الاستئناف بالقاهرة



هدية

الى قراء « الحديقة »

الذين كان لى من اقبالهم على أجزائها الاربعة الأولى تشجيع على موالاة اصدارها ، ورجاء فى أن يكون لهم منها مكتبة صغيرة لا تحتجب من رجالهم ، ولا يحتجب منها نساؤهم . وهى - لصغرها ، ولما فيها من روح الفتوة - أليفة صغارهم ، وحبيبة فتيانهم وفتياتهم

لذلك كان من حقهم عليها - وقد فتحوا لها خزائن كتبهم ، بعد أن صحبتهم فى متنزهاتهم وأوقات راحتهم - أن تعترف لهم بحقوق الصحبة ، فتسجل لهم ذلك فى فاتحة هذا الجزء ، الى أن تلتقى بهم مرة أخرى فى الجزء السادس ان شاء الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين * وصلَّى الله على المرشد الأعظم، والقُدوة الأكرم ﴿ محمد بن عبد الله ﴾ وعلى آله وصحبه وسلَّم

وبعد فهذا الجزء الخامس من ﴿ الحديقة ﴾ أودعتهُ خيرة ما اطّلعتُ عليه من منثور كتّابنا ومنظوم شعرائنا خلال المدّة التي صرفتها في جمعه. ولا أزال أتوخّى فيما أختاره أن يكون جامعاً الى بلاغة القول لذّةَ الموضوع وشرفَ الغرض وحصولَ الفائدة؛ لتكونَ الأجزاء كلها كالينبوع المتدفق لا يبرح يأتي بماء جديد، وإن كان الآتي منه كالماضي في صفائه وعذوبته * والله وليُّ السَّداد

القاهرة: ١٥ جمادى الاولى ١٣٤٦

محبّ الدين الخطيب

شعرنا وشاعرنا

شعرنا وشاعرنا

ـ بمناسبة أسبوع شوقي ـ

الأدب الناعس ـ الشعر والشاعر في المثل الأعلى ـ أول عهدي بالشوقيات
شوقي وشوقياته ـ ترجمة الشعر ـ هل الفن للفن ، أم للفضيلة والخير؟
الاصلاح الذي نحتاج اليه في شعرنا

الأدبُ الناعِس

ما برِحَ الأدبُ العربي يسير في طريقه ناعساً ، والشعرُ في نظر قرائنا بمنزلة الكماليّات ، حتى اصطدَم بجَيئة (تاغور) الى مصر ، فكان الأدبُ والشعر حديثَ الناس ، وكانتِ الموازنةُ بين آثار هذا الشاعر البَنْغاليّ وبين شعرنا العصريّ باعثةً على التفكير فيما بلغ اليه شعرنا وما يحتاج اليه من إصلاح . ثم جاء (أسبوع شوقي) بعد (زيارة تاغور) ، فاتّسع الوقتُ

للـكلام على الشعر والشاعر بما لم يسبق له مثيل ، منذ عهد طويل

نعم ، إن الفرصة أُتيحتْ لادبائنا وكبار كتّابنا أن يقفوا من حياتنا الأدبية موقف الجدّ ، فيطيلوا النظر فيهـا بتُؤَدَةٍ وتدبّرٍ وإنصاف ، ويفكّروا في المرحلة التي قطعها الأدب العربيّ في هذا العصر ، والوقتِ الذي صرفناه للوصول اليها ، والاتّجاهِ الذي يتقدّم شعرُنا نحوَه ، وما هي مَواطِن الضعْف فيه وما هي بواعثُ هذا الضعف وما هو المخرج منه . وكان من حقّ شوقي ـ وقد أقمنا له أسبوعاً ـ أن يكون فرسانُ هذا الميدان كلهم في الحَلْبة فلا يبقى واحدٌ منهم غريباً عنها . ثم يتولّى كلُّ رجل منهم ناحيةً من نواحي شوقي ، وشعرِ شوقي ، وبيئةِ شوقي ، فيوفيها حقّها من النظر ، ويُفضي الى شباب هـذه الامة وأهل الذوق الأدبيّ فيها بنتيجة درسه المستفيض : إما في حفَلات « الاسبوع » وقد اتسعتْ للكلام على المأمون والمستشرقين والجمعية الأثرية

المصرية ؛ وإمّا في الصحف وقد فتحت صدرها للتحامل على شوقي بظلم ، وللثناء عليه بأقلام لا يطمع بعضُ أصحابها بأكثر من أن يفرحوا برؤية أسمائهم مطبوعة في الصحف السيّارة . كل هـذا كان يجب أن يكون ، بل بعض ما كان يجب أن يكون ، لولا أننا أمة ما زالت تلعب ، وما زال أبناؤها يقيسون المصلحة العـامة بمقياس الهوى ، ويزنون الحقائق بميزان الأوهام . لذلك كان أدبُنا بين حالتين : أن يسير ناعساً قبل الصدمتين الأخيرتين ، ثم أن يضيع بعدهما صوابُ القول فيه : فيطغى عليه إغراقٌ في الذمّ لا حدَّ له وإغراقٌ في الثناء لا حدَّ له . . .

الشعرُ والشاعر

« والمثل الأعلى الذى نطمع أن يصلا اليه »

إن الأدب العربيّ يطمعُ بشاعرٍ لم يُخلق بعدُ ، ولعلهُ خُلق ولكنّ عِبء الشهرة ووباءها لم يُنيخا بأثقالها على

صدره فيمنعانِه من المُضيّ في طريق المهمّة المحفوظة له في تاريخ اللغة العربية ، لغةِ الخلود

إن الأدب العربي يطمع بشاعرٍ قامت أعلامُ الفضيلة ومَعالم الايمان حول الحَرَم الذي يسكنه فؤاده ، فلا سبيلَ تسلُكه الاغراضُ الصغيرة الى هـذا الحَرَم ، ولا مَنفذَ يَدخل منه الهوى الى ذلك الفؤاد

إن الأدب العربيّ يطمع بشاعرٍ له من قُوى النفس ما يَقوى به على النفس فيَحُول بينها وبين أن تنحطّ الى غِمار أهل هذه الدُنيا الدنيئة ويمنعها من أن تستأسِر للشهوات الأدبية والمادية ، ويرتفع بها غيرَ بعيد حتى تُشرف على آلام الفَرد وآماله ، وعلى أمراض الجماعة ويَنابيع قوّتها ، ويكون له من دقّة الحسّ مايسمع به نابضَ الحياة في مجالي الطبيعة ويلمح بدائع ألوانها وأسرار أشكالها

ان الأدب العربي يطمع بشاعر يخترق ببصيرته حُجُبَ الماضي ، حتى يتراءى له ماخفي على التاريخ من أدوار هذه

اللغة العجيبة التي عرفَ الناسُ شبابَها ولم يعرفوا طُفولتها. ثم يرتفع بهـذه المعرفة حتى يشهد أمجادَ الناطقين بالضاد في تلك الأدوار، أيامَ كانت ألسنتهم تدور باختراع صِيَغها وتقسيم أوضاعها، وتتفنَّن بتنظيم لآلئها واشتقاق بدائعها، وتتحرَّى المناسبات العجيبة للتوفيق بين المعـاني والألفاظ الدالَّة عليها. فاذا انتقشت صورة ذلك المـاضي النبيل على صفحة قلب الشاعر وفى تلافيف دماغه وامتزجت بجملة نفسه تحوَّل عنه الى المستقبل، فتجلَّى له الافق الأقصى الذي يَتوقَّع أن تبلغهُ - بل الذي يجب أن تبلغهُ - هـذه اللغةُ القدسية والشعوبُ الأمينة على بدائعها. ومتى كَشَفَتْ له ملائكةُ الشِعرِ حُجبَ الغيب عن ماضي هـذه القومية ومستقبلها فَنِيَ فيها وصار لسانَها الناطق بامجادها، والقائد الداعيَ الى وصْل ما بين ذلك الماضي وهذا الآتي بما يرشد اليه من الأسباب التي تُهيِّئ الناطقين بالضاد لأن يكونوا

لذلك أهلاً

إن صحافتنا تقوم اليومَ بمهمَّة الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون ، وتؤدّي عملهم على أتمّ وجه ، وتتقلَّب مع مقتضيات الدنيا وشهواتها وأهوائها بين كل صبح ومساء ؛ حتى اكتفينا بهذا الضرب من الشعر ، وبتنا في حاجة الى الشاعر المفقود ، الى الشاعر الذي يؤمن بما يقول ، ويُفيض الايمانَ على قلبه إلهامٌ تقتبسه مَداركه من ظلمات الحاجة الانسانية ، وتنتزعه عزائمُه من أنياب الفاقة القومية ؛ ثم ترسلانه نوراً باهراً تبصر به الأمةُ سبيلها الى الخير ، وغِذاءً شهياً تَقوى به على بلوغ مَطمحها المتواري وراء الآفاق

ترى هل وُلد الشاعر الذي يحمل لواء الناطقين بالضاد الى ميدان الكفاح ؟ وإذا كان قد ولد فهل هو يُعدّ نفسهَ لهذه القيادة المقدَّسة ، ويجهِّز شاعريته بالاخلاق التي تؤهله

ليكون «شاعر المستقبل» ؟

إن العربية وأهلها ينتظران . . .

انهما ينتظران ، ولكن يجب أن يكون انتظارُهما انتظارَ حركة وحياة ، لا انتظارَ سكينة وانتحار ؛ فالنبوغ لا يكون إلا في البيئة الصالحة له . ألم يقل الاستاذ النشاشيبي يومَ خطَبَ في (العربية وشاعرها الأكبر) : ان « مِن سنن الله ومن دَساتير الطبيعة ألاّ يفاجيء نابغةٌ أو عظيم ـ فيما قُدِّرَ له أن ينبغ أو يعظُم فيه ـ قومَه مُفاجأة دون أن يستعدُّوا له ، إذ النابغة في شيء مّا إنما هو جوهر أمّته ولا يخلُص خيرٌ إلا من خير ، وماحدَث كونٌ عن عدم » . فلولا وجود شوقي اليوم ماطمعنا في قرب ظهور الشاعر الذي ننشده ، ولولا تقدُّم البارودي وصبري لما تأهّلَت الأمةُ العربية الآن لقراءة الشوقيات

❁❁❁❁❁

﴿ أول عهدي بالشوقيات ﴾

لستُ أذكر على التحقيق في أيّ عام عرفتُ شعر شوقي للمرّة الأولى، ولعل ذلك قبلَ نحو ربع قرن : فقد كنتُ غلاماً حديث السنّ أدرس في بداية القسم الثانوي من مدرسة الحكومة العثمانية بدمشق يومَ وصلَت الطبعة الاولى من الشوقيّات الى مكتبة ابن هاشم في باب البريد ووصلَت معها نسخٌ من كتاب « السفَر الى المؤتمر » للأستاذ أحمد زكي باشا فاقتنيتهما وسهرتُ أتلو الشوقيات الى الصباح : على نور مصباح البترول تارة، وتحت أشعّة البدر تارة أخرى، مبتهجاً بأن يكون في العربيـة شعرٌ كذلك الشعر، ولم أكن أعلم قبل تلك الليلة أن في لغتنا شعراً غير قصائد المدح والهجو التي كان الناظمون ينظمونها في مدينتنا، فانصرفتُ الى درس الأدب التركي و كنتُ مشغوفاً بما يكتبه أدباء مجلة (ثروت فنون) : فِكْرَتْ، وجنَاب، وخالد ضيا، ومحمد

رءوف ، وناظم ، وسُعاد ، وحكمت ، وجاهد ، وفائق عالي وشيوخ هذه الطبقة : كمال ، وحامد ، وأكرم . وكنتُ في رُفقةٍ نستحي أن تكون لهؤلاء قطعة شعرية أو فقرة أدبية ليس لنا بها سابق علم

ولشعراء الترك وأدبائهم حرمةٌ عند شبابهم وسائر قرّائهم لم أرَ مثلها لشعرائنا وأدبائنا عند شبابنا وسائر قرّائنا . فاذا نبغ الرجلُ فيهم صارت له في قومه مكانة لايطمع بمثلها وزير ولا سريّ ، حتى لوكان النابغُ لايجد ما يجدّد به طربوشه مرة في كل سنتين . فلما اكتشفتُ أنا ورُفقتي كنزَ الشوقيات عكفنا عليه نختار في مجموعاتٍ لنا بعضَ تلك البدائع نكتبها بخطوط جميلة ، ويُعْنى بعضُنا بتصوير مدلولاتها : فاذا كتبنا ميميّته في زيارة الامبراطور غليوم قبرَ صلاح الدين صوّرنا الى جانب القصيدة قبةَ صلاح الدين ، واذا كتبنا موشّحة « البُسْفور كأنك تراه »

ملأنا الصفحات اليسرى من مجموعاتنا بالمشـاهد الموصوفة في تلك القطعة الشعرية والى يمينها الأبيات الخاصة بهـا . وانما ننسخ هذه القصائد بالخطوط الجميـلة ونزينها بالصور لنعرب عن عنايتنا بها ، وإلا فقد غدت محفوظة في الصدور ، وبتنا ولشوقي في قلوبنـا حرمة كالحرمة التى كنا نشعر بها نحو أدباء اللغة التركية ، أضف اليها عصبية اللغة ، وان وراء هذا لأمراً عظيما ...

وانتقلتُ الى بيروت ثم الى القسطنطينية أنا وأخي الشهيـد الامير عارف الشهابي ثم طوّح بي الدهر الى اليمن ، فكانت الرسائل غادية ورائحة بيننا وبين بقية الرفقة : صلاح الدين القاسمي والشهيد صالح قنباز رحمة الله عليهما ورشدي الحكيم الأديب الضليع ولطفي الحفّار الوزير الدمشقي المعتقل الآن في لبنان وسامي العظم رئيس ديوان الرسائل بوزارة العدلية وغيرهم . أتدري ماذا تحمل هذه الرسائل ؟

ان أهم شيء فيها نسخةُ ماتنشره الصحف والمجلات من شعرٍ جديد لشوقي ومطران والكاظمي والرافعي والكاشف والرصافي ومحرَّم ، فان هذا الجديد من الشعر لم يكن يجوز أن يتأخر البريد يوماً واحداً عن حمله الى كل واحد من أولئك الرفقة تحت أية سماء كانوا

إذاً فانا صديق قديم للشوقيات ، ومن حقّ قرائي عليَّ أن أتحدَّث معهم عنها بمناسبة (أسبوع شوقي) الذي ماجت القاهرة بحفلاته في أوائل الشهر الماضي

شوقي وشوقياته

جَلا شِعرُه للنـاس مِرآةَ عصرِه
ومرآةَ ماضي الشعرِ من عهد تُبَّعِ
يجيء لنا آنًا بأحمدَ ماثلاً
وآونةً بالبحتريّ المرصّع
ويَشْأَو رُقِيَّ هيكو ، ويأتي نسيبُه
لنا من ليالي (ألفرِيدَ) بأربع

حافظ

شوقي ابن البِيئة التي أوجدته ، والعوامل التي كوَّنته ، والدواعي التي أخذت بيده فسيَّرته . ولا ريب أنَّ مواهبَه واجتهاده ساعدا تلك البيئة والعوامل والدواعي إلى أقصى مَدًى يستطيعه الشاعر المحفوف بظروفه ، فكان لنا منه صاحبُ الشوقيات بكلِّ مالها وما عليها

قالوا ان الشطر الاعظم من قريضه مدحٌ ورثاء، وعدّوا ذلك منه إسرافا، وودُّوا لو كان في مكان تلك القصائد من الشوقيات نظراتٌ الى دخائل الحياة المصرية تشفّ عن فرط إحساسه الشعري، ومشاركته لطبقات الأمة في آلامها وآمالها

وقالوا إن ارادته لم تكن بيده، وإنما كانت شاعريته تتأثّر بعوامل السياسة وميول أهلها، لقربه من المسرح الذي تشتبك فيه أصول تلك العوامل وأسبابُها. ورتّبوا على هذا أنه لم يكن ثابتاً على المبدإ وأنه كانت تنقصه الشجاعة الادبية

وقالوا انه اصطنع الشعرَ للذّته، فلم يغترف من طبائع الاشياء وأوضاع الناس في الحياة غَرفة شاملة يتذوّق بها حاجةَ عصره، ولم يستغلّ موهبته استغلالا جيّد المحصول عامّ النفع، لذلك كان شعره كماليا للأمة



«شوقى: آخر صورة له»

لقد قالوا مثل هذا القول وأكثروا منه ، وأنا لم أجدْ فيما قالوه نقداً لشعر شوقي ، وانما وجدتهم يريدون من شوقي لو كان عاش في غير البيئة التى عاش فيها ، وكان ابنَ عواملَ أخرى غير العوامل التى كان تحت تأثيرها ، وأنْ لو انقاد لغير الدواعي التى انقاد لها . أما وقد شاءت الاقدارُ لشوقي أن تكون تلك بيئته ، فان الأدب العربيَّ لم يكن يطمع باحسن مما أحسن به هذا الشاعر العبقريُّ الى أدب لغته ، حتى تبوَّأ منه المكانة التي رفعته الشوقيات اليها وضَمِنت له بها الخلود

اتفقَت الكلمة على أن نفسيَّة شوقي ترجع الى أصول متغايرة ، وعناصرَ مُتباينة . وتلك نتيجة طبيعيَّة لتباين العناصر التي تكوَّن منها شوقي ، ولتغايُر الاصول التي امتصَّت منها شاعريته غِذاءها . ألم يقل لنا عن نفسه انه مزيج جنسيَّات متعدِّدة ؟ ألم تتناوب تكوينَ ثقافتِهِ مدينتا

القاهرة وباريس ؟ أليس رفيقَ المتنبي وهيگو منذ أربعين عاماً ؟ ألم يعش في بلد تنوَّعت فيه السلطات والازياء والاحكام ؟ أليس إذا أراد أن يعتزَّ بأمجاد التاريخ جعل يتنقَّل بين أهل الجنان الاندلسية من بني عبد شمس ، وبين ذكريات الفراعنة في أنَس الوجود ، وبين ما ينكره الكماليون اليوم من محامد آل عثمان ؟ أليس هو القائل لرجال الازهر :

يا فتيةَ المعمور سار حديثُكم
نِدّاً بأفواه الركاب وعنبرا
المعهدُ القدسيُّ كان نديَّه
قطباً لدائرة البلاد ومحورا
وُلدتْ قضيتُها على محرابه
وحَبَتْ به طفلاً وشبَّت مُعصرا
هزُّوا القرى من كهفها ورقيمها
أنتم لعمرُ الله أعصابُ القرى

بينما هو القائل فيهم :

إذا عرض الجديدُ لهم تولَّوا
كذي رَمد على الضوء امتناعا

أليس يرى من الكياسة أن لاينسى نصيبَ الصليب من الاشادة بالذكر كلما طلع الهلالُ بأفق من آفاق شعره ؟ أليس هو الذي نادى الساقي في عيد الفطر وكان يستطيع أن يناديه قبل العيد ، لكنه لم يفعل . وكان يستطيع أن لا يناديه قط ، ولكنه لم يفعل أيضاً . ولو فعل إحداهما لكان معارضاً لمقتضي تلك الأصول المتغايرة والعناصر المتباينة

إن الشوقيّات نِتاج هـذه الاصول والعناصر ، وقد استطاع شوقي بكياسته ودَهائه وعبقريته أن يوفّق بينها بمـا يبلغه جهد الشاعر العظيم ، فاذا ابتسم للوردة بنشيد من أناشيد الطرب ادَّخر لاشواكها صيحة من صيحات الغضب يرسلها يوم تدعو الظروف الى إرسالها ؛ وفي كل غُصن من شـجرة

الحياة وردٌ وشوك ، وفي كل يوم من أيام هذا الكون نورٌ وظلام ، وللناس من دهرهم ابتسامةٌ وازْوِرار . وهل رأيتَ شيئاً تغنّى شوقي بمَحامده كما تغنّى بمحامد الخلافة الاسلامية وقوّتها من عهد العمرين عليهما رضوان الله الى يوم خاطب الطاغيةَ عبدَ الحميد بقوله :

وهابَ العِدى فيه خلافتكَ التي

لهم مأربٌ فيها ولله مأربُ

فلما أبلغهم مصطفى كمال مأربَهم فيها متقرباً بذلك اليهم ، وظاناً – وبعضُ الظن إثم – أنه يحملهم بعمله على تغيير رأيهم في قومه ، لم تضنَّ عبقرية شاعرنا العظيم بقولٍ جميل يرسله في الناس استحساناً لما كان ، فراح الناسُ يحفظون شعرَه الثاني كما حفظوا شعرَه الاوّل ، افتتاناً بجمال بيانه الساحر ، وإنَّ من البيان لسِحرا

لقد كان الأستاذ أنطون بك الجميّل وفيّاً للادب

عما اعتذر بهذه الصفحات المتباينة من الشوقيات ، ولقد والله ذكّر الناس بكثير من الحقائق ، ولكن العذرَ الشامل لما مضى وما سيأتي من أمثال ذلك إنما هو اختلافُ الاصول وتباينُ العناصر ، وشوقي لم يَعْدُ سُننَ الطبيعة فيما يتركه من آثار ذلك في الشوقيات ، وله المقدرة النادرة في تحويل الوجهة كلّما قضتْ عليه المواقف بتحويل مَراميه . وتلك من مزايا شاعرية شوقي التى لم أرَهم يفطنون لها

وفيما خلا هذا فشوقي شاعر الوصف الذي ضنَّ علينا الزمانُ بمثله منذ ألف سنة ، ويقولون ان أدب اللغة الفرنسوية أمدَّه بثروته ، وأباح له مروجَ جنَّته ؛ ولكن هل ضنَّت الآداب الأفرنجية بكنوزها وفراديسها على المئات بل الألوف من متعلمينا ؟ أليس ذلك مباحاً لهم ، ونرى أثره اكثر ظهوراً فيما يكتبون ؟ والحقُّ أن شوقي يملك بكل جدارة واستحقاق جميع مافي شعره من لآلي ، لأنها تأنس

بمواضعها من شعره ، وتظهر فيه بما هي أهل له من رونق وجمال ، بينما هي في كثير من الشعر تبدو كالجواهر التي تستعيرها الغادة الفقيرة لتتجمَّل بها ليلة عرسها

أقول قولي هذا ولا أجهل ما أشار اليه الرصافي والزيّات والشيخ عباس الجمل من طغيان المعاني على ألفاظها في بعض شعر شوقي ، بحيث سهر الناس حائرين في تعليلها وتأويلها ، بينما شوقي يقول مع أبي الطيب :

أنام مِلءَ جفوني عن شواردها
ويَسهر الخلقُ جرّاها ويختصمُ

أما ما يؤاخذونه به من ضعف بعض مطالعه فهو عندي دليلُ قوة لا دليل ضعف لأن من دأب الجواد الكريم أن تزداد همَّته كلما بعُد الشوط بما لم يكن يظهر عليه في البداية .
ويظن الأستاذ جبر ضُومط أن شوقي اذا ترك نفسَه على سجيَّتها أشدُّ منه إذا تعمَّل ، بينما الأستاذ الزيات يقول ان

شوقي قد يعفي طبعه أحياناً فيرسل الشعر كما يجيء من غير تنوّق فيه ولا تنقيح فيأتي بما لا يتّفق مع فضله . وأظنهما مُصيبَين جميعاً لأن كلاً منهما يتكلم من ناحية ، وبين الوجهتين فرق دقيق ، إذ التنقيح غير التعمّل ، وقلَّما انتبه الناس الى هذا الفرق

ويرى الرصافي أن أرق شعر شوقي ما قاله في الدور الأخير رغم تقدّمه في السنّ ، فهو يتفق في هذا مع شوقي فيما يراه من أن أجود قصائده نونية «توت عنخ أمون» ، ولعلَّ لقرّاء الشوقيات رأياً غير رأي شوقي في خير ما قاله من القصائد

﴿ ترجمة الشعر ﴾

ذهب الاستاذ المازني الى ان مقياس جودة الشعر عنده « أن الجيّد في لغة جيّدٌ في سواها » . وفي صدق هذه القضية نظر لأن الشعر في لغةٍ اذا نقل الى لغة أخرى فان الذي

ينتقل الى اللغة الاجنبية انما هو عنصر واحد من عناصر الجمال في القطعة الشعرية وهو المعنى ، وتبقى عناصر أخرى كانت تبعث الروعة والاعجاب فى نفوس قراء الشعر بلغته الاصلية وهي مما لايمكن نقله ، لانها ترجع الى روابط خاصة بين تلك اللغة وعقلية أهلها ، كما ترجع الى ملابسات لاتعدو أبناء اللغة الاولى ، كالاشارة الى مَثل خاص بهم دون غيرهم أو الى حادثة لها فى قرارة نفوسهم ذكريات لايشعر بها غيرهم . ولعلّ شعر الحكمة والتصوّف - كشعر المعرّي والخيّام وتاغور - هو بعد الشعر القَصصي أكثر من غيره احتفاظاً بجماله اذا نقل من لغة الى لغة ، ومع ذلك فان تاغور يرى أن قوة البيان لا تكون واحدة في اللغتين المنقول منها والمنقول اليها ، لأن لكل كلمة جوّاً خاصاً بها في لغتها ، واذا أمكن ترجمة تلك الكلمة فان هذا الجو لا يترجم واذا كان المترجَم شعراً فان موسيقى الشعر بلغته الاصلية لا تنقل بالترجمة الى

لغة أخرى ، حتى لو كان مترجمها باللغة الثانية هو صاحب الشعر باللغة الاولى . يقول هذا الكلام تاغور الذي عانى هذه الصناعة وتولّى بنفسه نقل شعره الى اللغة الانكليزية التي أجمع كل الذين سمعوه يتكلم بها أنه يجيدها إجادة لا مَطمع لاحد بالزيادة عليها

وأذكر أني لما كنت في القسطنطينية كتب الاستاذ السيد مصطفى صادق الرّافعي الى ابن عم له هناك ملحاً في أن يحملني على ترجمة شيء من الشعر التركي الحديث ليطّلع على أساليب القوم ومَناحيهم ، فكنتُ آخذُ المقطوعة البديعة جدّاً من المقطوعات الشعرية التي كنا نقرأها بشغف ، فأترجمها محتفظاً بأدقّ ما فيها من المعاني ، ثم أعلّق عليها بذكر ما يلابسها من نكات يعرفها القارىء التركي دون غيره ، فاذا أعدتُ النظر فيها وقارنتها بالاصل أجد من الظلم العظيم لصاحبها أن أرضى لشاعريته بالصورة التي ستنتقش في ذهن

الاستاذ الرافعي عند قراءته ماأترجمه من شعر ذلك الشاعر .
ولما كتبتُ بحثَ « الادب التركي في ثلاثة أدوار » وظهر بعضه في المجلد الثالث من (الزهراء) عاد فطلب اليّ أن أترجم شيئاً من شعر عبد الحق حامد ، فوجدتُني لا أزال الآن على رأيي الذي كنت عليه لما كنت في القسطنطينية .
ومع ذلك فان الاستاذ كرد علي يقول انهم جرّبوا ترجمة « دِمَشْقيَّة شوقي » بالفرنسية فأُعجبوا بها ، ولست أدري الى أي حدّ تقيّدوا بأغراض شوقي ومعانيه عند نقلها

﴿ هل الفنُّ للفنّ ، أم الفنُّ للفضيلة والخير ؟ ﴾

زعم المشتغلون بتعريف الفنّ فيما مضى أن الغاية منه « التعبير عن الجمال » . ثم بدت لهم حقيقة رائعة وهي أن الجمال عند قوم قد يكون قُبحاً عند آخرين ، فما تراه الغادة اليوم جمالا في شَعرها كانت تعتبره أمُّها قبل عشر سنين في منتهى القبح ، وما تعتبره المرأة الصومالية جمالا تتحدَّثُ

عنه المرأة الايطالية بتنقّص وازدراء

وزعم آخرون أن غاية الفنّ تقليدُ الطبيعة ، وقد خُدِعتُ بهذا المذهب في طفولتي فقلت :

كأنّما الطيرُ فوقَ الطرْسِ ينظرُ لي
شَزْراً يقبّح ما في الطرس من فِكَرِ
يقول : سُخطاً لشعر رام قائلُه
وصفَ الجمال فلم يرسُمْه كالصُوَرِ

فهل يرى القاريء أن الصورة الشمسية لمشهد من مَشاهد الطبيعة تعدُّ قطعة من القطع الفنية ؟ الواقع انه لايراها كذلك

وذهب إيپولِتْ تِنْ الى أن الغرض الذى يرمي اليه الفن بيانُ الصفة الممتازة في طبائع الاشياء ، ثم يكون مابعدها من الصفات ـ سواء كان من لوازمها أو من الصفات المشتركة ـ تبعاً لتلك الصفة الممتازة . وهذا كلام حسن ، لكنه يصبغ

الفنّ بصبغة علمية ، لأنه ينكر شخصية المتفنّن وما لها من أثر جوهري في أسلوب البيان أو طريقة الاداء .

وقد انتبهَ الى ذلك إميل زُولا فقال في حدّ الفن : هو الطبيعـة منظوراً اليها من مِزاج المتفنّن . فالمتفنّن لا يعبّر عن الحياة وعن الطبيعة بحقيقتهما الواقعة ، كما كنتُ أظنُّ أيامَ الصِبا ، بل يعبّر عنهما كما يرتسمان في مزاجه ؛ ومن هنـا كان لشخصية المتفنّن والعناصر التي يتكوّن منهـا إيمانه وتفكيره وحُكمه دخلٌ عظيم في قيمة الآثار الفنية التي تصدر عنه الى الناس

ولـكن هل يجوز أن يكون مزاج المتفنّن طليقاً من كل قيـد ، أم تشمله القاعدة التي تجعل للحرّيات حدوداً ؟ أو بتعبير آخر : هل يستوي الشـاعر الذي يقف مواهبه لخير الجماعة والشاعر الذي لا يبالي بمـا يصدر عن مواهبه من خير أو شر ؟ والمشتغلون بالأدب اصطلحوا على أن يتساءلوا في

هذه القضية : هل الفن للفن ، أم الفنّ للفضيلة والخير ؟

هنا أمران يجب أن يلاحظهما كل من يخوض في هذا الحديث :

الاوّل : أن الشاعر وكل متفنّن هل يعيش لنفسه أم للجماعة ؟ واذا كان يعيش للجماعة هل يريد أن يكون فيها كالكوكايين يلذّ ويؤذي ، أم يريد أن يكون كالوردة يلذّ وينفع ؟

الثاني : هل الاعتبارات الادبية واحدة في كل أمة ، أم أن الآداب للأمم كالغذاء للافراد فما يُتسامح به في الأمة القوية ربما كان وبالاً على الأمة الضعيفة ؟

الذي أفهمه أنا هو أن هذا الشرق يجب أن ينتفض من سِنَة الكرى التي امتلأت بها عيناه ، وأن يقتصد في الوقت فيتخذ من كل قوّة مدَداً لحياته : ومادام الشعر قوّة ذات سلطان على النفوس فيجب أن تنصرف هذه القوة للجدّ لا

للهزل ، وللعمل لا للكسل ، وللرجولة لا للتخنّث ، ولتوجيه القوى القومية الى آفاق المجد وتحويلها عن جوّ الفناء الضائعة فيه الآن تحت سقوف القهاوي والملاهي . . .

لقد سئمت النفوس كتابَ حَلبة الكميت وديوانَ رامي ، فغذّوها بمثل شعر كپلنغ الانكليزي ومحمد أمين التركي

ان أمم الشرق في خطر، فدعونا من هذيان الفنّ للفنّ فيما لا يتفق مع الفضائل الفردية والقومية

ان الشاعر لا يعيش لنفسه بل يعيش لقومه . وهذه الشعوب الناطقة بالضاد أحوج الى شاعر يأخذ بأيديها الى معترَك الحياة وميدان العمل ، منها الى شاعر يأخذ بشبانها وشابّاتها الى باب الحانة بأحابيل الغزَل

اذا كانت أمم الغرب آمنة بأساطيلها وجيوشها وجامعاتها ومصانعها ومصارفها من الاخطار القومية والعلمية والاقتصادية وعندها متّسع من الوقت تتمتع فيه بالفن الذي صيغ للفنّ ،

فنحن معاشر الشعوب الناطقة بالضاد موجودون في وسط حريقة ، فهل يشعر بذلك شعراؤنا ؟

﴿ الاصلاح الذي نحتاج اليه في شعرنا ﴾

أما الاسلوب والديباجة فيجب أن يبقيا عربيين كما كان ينظم بشّار والبحتري والشريف الرضي ، وكما كان ينثُر عبد الحميد وابن المقفّع والجاحظ . وكما لا يجوز أن تمتدَّ اليدُ الآثمة بالتشويه الى الفن الذي أُبدِعتْ به جبهةُ الحمراء وأقواسها ونقوشها ، ومَعالم مسجد السلطان حسن ودقائقهُ وبدائعه ، كذلك أسلوب العربية الصحيحة الخالد بالقرآن يجب أن يبقى مابقيَ القرآن . وأما فيما عدا ذلك فكما يجوز لنا أن ننشيء وراء مثل جبهة الحمراء غرفاً مهندَسة بأنفع أساليب الهندسة الاقتصادية التي وصلت الى معرفتها مَدارك البشر ، كذلك يجوز لنا أن نعدل بعض نظرياتنا في الشعر ، ما قضتْ بذلك حياتهُ وحياة الامة به

ويحسُن بنا بعد الآن أن نعتبر القطعة الشعرية بمجموعها كلاً مؤلفاً من عناصرَ لايتمُّ الآ بها . أي أننا يجب أن نعدِل عن نظريتنا القديمة التى تعتبر البيت كُلاًّ مستقلاً ويصبح الـكلّ في نظرنا هو القطعة بمجموعها . وهذا لايمنع أن تتخلَّلَ القطعةَ أبياتٌ استطرادية يكون الواحد منها مَضربَ المثل يتحدّث الناسُ به في مقام الاستشهاد لحقائق الحياة ، وآيةً في الحكمة ترتلها الألسنة في مواقف العظة والاعتبار

وما دمنا قد اعتبرنا القطعة الشعرية كلاً مؤلفاً من عناصر لايتمَّ إلا بها فمن مقتضى ذلك أن يجتنب الشاعر هذه الاستطرادات في القصيدة الواحدة ، و ألا يتنقَّل فيها من موضوع الى موضوع آخر ليس من جنسه ، وأن نُعرِض الى الأبد عن تقديم النسيب بين يدي الأغراض الأخرى التي هي مقصودة بالقصيدة دونه . ومن مقتضى اعتبار القطعة

بمجموعها كلاً أن يُعنى الشاعر بمَغْزِبها عنايته بمطلعها ، فيُفرِغ في البيت الاخير من القوة ما يبقى رنينه في النفس طويلاً ، كما يكون لتلك الضربة الشديدة التي ينتهي بها الدور في موسيقى الجيش

ومما يحسُن ملاحظته أن يكون حجم القطعة الشعرية متناسبا مع ما يحتمله موضوعها ، فقد تكفي السبعة الابيات ليؤدّي بها الشاعر كلّ غرضه ، ويحيط فيها بما أراده ، وتكون لها عند قرائها من الحرمة والمكانة ما للقصيدة الكبرى

وقد كان شوقي أولَ من جرّب الشعر التمثيلي في رواية (على بك) قبل خمسة وثلاثين عاماً ، ونظم القصيدة الكبرى غير مرة . لكن هذا النوع من النظم المطوّل يجب أن تتداوله الاقلام الكثيرة وتتعاون عليه ؛ ويجب أن يسعفه المسرح ويوالي التجربة فيه ، ويحتاج الى أن تكون في الشباب روح أدبية تتلقى ثمراته باقبال ليوالي كُفاتُها عملهم

بنشاط . وفي القصيدة الكبرى ، وفي الملحمة ، يحسن تنويع الموضوعات والتنقل فيها . ويحسُن تنويع الوزن والقافية على ماتقتضيه المعاني ، وعلى ما تقتضيه موسيقى تلك المعاني : من أوزان تلائم الروح الهادئة ، الى أوزان تسعف النفس الهائجة ، الى نغمة لائقة بمقام الحزن ، الى رنة تكمل معنى الابتهاج ، وكذلك الامر في القوافي

وبعدُ فقد كان أشرفَ ينابيع الشعر التي شرب منها شوقي وغير شوقي من شعرائنا ينبوعان : الطبيعة والتاريخ . وأبدع مظاهر شعره وشعرهم الوصف . وما دمنا نتكلَّم في الاصلاح والتجديد فيجدُر بنا أن نلتمس من شعرائنا ـ وفي أيديهم مفاتيح القلوب ـ أن ينتقلوا بنا الى أدبٍ آخر غير أدبنا الحاضر ، إلى أدب التوحيد الذي تشترك فيه الشعوب القارئة لهذا الشعر ، والى أدب الحياة الذي تعرف به هذه الجماعات طريق القوّة ، والى أدب التقوى الذي نخرج به

من رذيلة الضعف ونبرأ به الى الانسانية من جريمة الخنوع .
نريد أن نحيا وتمنعنا أدواء في الشعر علاجها ، ونريد أن
نسير وفي الصدور رهبة لا تزيلها غير صرخات الشعراء
تهيب بنا الى ميادين الشرف

ان الغرب لما أراد أن يملك رقاب الشعوب التي تقرأ
شعركم يا شعراء العربية استهواها بملاهيه وزخارفه وأهوائه
وموبقاته . ولا خلاص لهذا الشرق العربي من شراك الغرب
إلا اذا عدل أهله عن تلك الزخارف والموبقات الى ما في
الغرب من صناعة ونظام ومعرفة ، وهل من قوة تستطيع
تحويلنا عن ذاك الى هذا أشد تأثيراً من المدرسة للبنين
والبنات ، ومن قوة الشعر للفتيان والفتيات ؟

ان الشاعر ترجمان الالهام ، ولا يكون الشاعر صادقاً
فيما يترجم عنه من ملهمات الطبيعة والفضيلة والحياة إلا إذا
كان متصفاً بما يدعو اليه من صفاتٍ ومحامدَ وأخلاق . هو
قائد الامة وحامل رايتها الى المطمح الأقصى في الأغراض

القومية ، وإلى المثَل الاعلى في الفضائل الانسانية ؛ ولا يستطيع الشاعرُ خوض غِمار المعركة في هذه القيادة إلا اذا كان مؤمناً بما ينطق به من إرشاد ، وعاملا بما يتغنى بذكره من مبادىء ، وصادقا فيما يأمر به من معروف وينهى عنه من منكر. أما الكلام الجميل الذي يصدر عن اللسان فيمرّ بالآذان ضيفاً ثم يذهب طنينه مع موجات الريح ، وأما الكلام الصادر من القلب فهو الذي يملأ القلب ويسكن في قرارة النفس ، وذلك هو الشعر ، وصاحبه هو الشاعر !...

محب الدين الخطيب

جمال فقدناه

شَعر المرأة

قال ابو الطيب :

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها

في ليلة ، فأرت ليالي أربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها

فأرتني القمرين في وقت معا

وقال ابن المعتز العباسي:

فلما أن قضت وطراً وهمت

على عجل بأخذ للرداء

رأت شخص الرقيب على تدان

فأسبلت الظلام على الضياء

وغاب الصبح منها تحت ليل

وظل الماء يقطر فوق ماء

وادي موسى

ومدينة سلع

وادي موسى

تلك القبورُ وماثِل الاطلالِ
صُحفٌ منشّرة وذكرٌ عالِ
للنفس بينهما ، وحولَ حِماهما ،
عِظةٌ ومَسْرح عِبرة وجَلال
ان ناح مُرتجِزُ السحاب عليهما
فاستسقِ صَيِّب دمعِك الهطّال
هي سِلْع ، والبَتْراء ترجمة اسمها
نَسجتْ عليه عناكبُ الاهمال
وأدال منه ومن مَعاهد أنسها
زمنٌ يروّع كلَّ ناعم بال
فاذا العرُوبة هُجنةٌ ممسوخة
واذا المنازل والديار خوالِ

***

وادٍ تحفُّ به الشوامخ مُمعنٌ
في السفح أربدُ قالِصُ السربال

يندسّ آونة ويسنح تارة
بين الهضاب، ومن وراء جبال

متعرّج يلتفّ غيرَ معرّج
ويجول حين يَهيم كل مجال

فلو ان مرتاعًا يروغ مشرّدًا
ما كان أعجبَ منه في الايغال

متجاوبُ الاصداء، تسمعَ - كلما
أصغيتَ - فيه هَماهمَ الاغوال

إن صرّحتْ باليأس منه أمدَّها
أملٌ على الأيام ليس بسال

شقّ الاديم، الى الصميم، مهرولاً
ينحطُّ بين حُزونة ورمال

ذكر القطينَ فجدَّ يهبط خلفهم
يتقحّم الغمَرات غير مبالِ
قد كان مُنتجعَ العفاة ، ولم يزل
بعدَ العفاء محطّاً كل رحال
لمشمّرٍ بين البلاد ، مخبّرٍ
نبأ العباد ، وسائحٍ جوّال

***

قلقُ المجازِ كأن كل طمِرّة
سُرُح اليدين عليه ذات شِكال
غبرت تعضُّ على الشكيم تغيّظاً
وتدِبُّ بين تعسُّف وخبال
ترقب القدرَ المُتاح تلفتاً
فتغصُّ حين تهم بالتَصْهال
ويهولها الأملُ السحيق كأنها
تجتاز فوق مزالق الاجيال

أشرفتُ منه على العصور تمثَّلتْ
ومشيتُ بين هدًى وبين ضلال
وشقَقتُ جيبَ الارض من أطرافها
حتى انتهيت اليه نِضْوَ كَلال
وشهدتُ فيه مدينة منحوتة
في الصخر نحتَ مُشيِّد التمثال
موصولة حُجراتها بمَبانها
تقرأ على عمدٍ لهن طِوال
لبستْ إياةَ الشمس في ألوانها
وزهتْ بأبرع زُخرُف وصِقال
والقصرُ نحوَ القصر ينظر شاخصاً
نظرَ المدلّه مؤْذِنًا بزيال
إن ورّع العبرات (١) جاش أتيُّها
وهمتْ سِجالٌ منه بعد سجال

(١) كفكفها

ومغارةٍ وقفتْ حِيالَ مغارة
ومُدرَّجٍ في إثرِ آخرَ تالِ
يتشعَّث الدرَّج الشتيتُ خِلالها
كخطوط أعسرَ أو دبيب نمال

* * *

بلد كأن يداً دحتْه، فخرٌّ من
قُلَل الجبال ممزَّقَ الاوصال
فهنا الصخورعلى الصخورتحطَّمتْ
وهناك منه حقيقة كخيال
أو كالطلاسم فوق مُهْرَقِ ساحرٍ
في كل زاوية خبيئة حال
موتٌ تطوف به الحياة، وموقفٌ
خشعتْ لديه طوارقُ الأهوال
تمضي القرون على القرون كأنها
ـ وقد انحدرنَ اليه ـ بضعُ ليال

فانظر الى الامصار كيف تنكَّرتْ
والى القضاء يصول كلَّ مَصال
والى الأنام تلفُّهم أكفانُهم
بعد الجهاد ونضرة الآمال
وافزعْ الى الملك المهيمن فوقهم
فالعلم ملَّ تنطُّسَ الجهَّال
وجدالَ دجال، وسُخفَ مُوسوسَ
يتشدَّقان ببطـــائش الأقوال
سُبحان من يهَب الحياة تبرُّعاً
من قبل أي رضا وأي سؤال
متصرِّفٌ في الكون غيرُ مفرِّط
يبني الجديد من القديم البالي
كَتبَ الخلودَ على الوجود، فلم يكن
في الموت غيرُ تحوُّل الاشكال

فؤاد الخطيب

بقية قلم

أهدى الاستاذ السيد محمد الخضر حسين قلما
صغيرا الى الخزانة التيمورية ومعه بطاقة كتب فيها :

كان هذا القلم آخر أقلام ثلاثة حررت بها نقض كتاب « فى الشعر الجاهلى » . وقد رأيت أن أهدى هذه البقية منه الى خزانة صاحب السعادة الاستاذ أحمد تيمور باشا ، وقلت على لسان القلم هذه الابيات . . :

سفكتْ دمي في الطِرْس أنملُ كاتب
وطوَتْنيَ المِبْراة إلاَّ ما ترى
ناضلتُ عن حقّ يحاولُ ذو هوًى
تصويرَه للناس شيئًا مُنكرا
لا تضرِبوا وجهَ الثرى ببقيَّةٍ
مني كما تُرمى النَّواةُ وتُزْدرَى
فخزانةُ الاستاذ تيمور ازدهتْ
بحلًى من العِرفان تبهرُ مَنظرا
فأنا الشهيدُ ، وتلك جنَّاتُ الهدى
لا أبتغي بسوًى ذراها مظهرا

قوس قزح

قوسُ قزَح

يا ضاحِكَ اللَّوْنِ ما عِشْتَ للصَّوْنِ
عندَ السَّماءْ
إنْ رُوِّعَتْ تَبْدُو إنْ أشْرَقَتْ تَغْدُو
أنتَ المُسَاءْ!
تَمتَدُّ في السُّحْبِ والشَّمْسُ في حُجْبِ
دُونَ الخَفَاءْ
كُوِّنْتَ من نُورِ في وَشْيِ بلّورِ
جَمِّ الرُّواءْ
آياتُ ألوانِ في قَوْسِها الباني
هذا البهاءْ
كالقَوْسِ للنَّصْرِ تمتدُّ في فَخْرِ
فَخْرِ الضياءْ!

والسُّحْبُ كم تَجْزي في لَوْنِها البَدْري
من كهرباءْ
تَحْكي المَنَاطِيدا دَفْعًا و تَصْعيدًا
سُفْنَ الهَواءْ !
تلقاكَ في أُنْسٍ لكنّها تُمْسي
صَرْعى الوفاءْ !
في وَشْيِكَ الزّاهي قد حيَّرَ اللاّهي
لَوْنُ الدّماءْ !
أَصْبَاغُ نقّاشٍ جادتْ بإنعاشي
والشُّعَراءْ !
ما ذُبْنَ في الماءِ بل زِدْنَ إسدائي
إعجازَ ماءْ
لكنّها حلّتْ في الزّهرِ مذْ وَلّتْ
عن السّماءْ !

أبو شادي

قيمة الوقت

كلمات مختارة من (صيد الخاطر) لابن الجوزي

رأيتُ العادات قد غلبت الناس في تضـييع الزمان ، وكان القدماء يحذرون من ذلك

دخلوا على رجل من السلَف فقالوا : لعلنا شغلناك !

فقال : — أصدُقُـكم ، كنتُ أقرأ فتركتُ القراءة لاجلـكم

وجاء رجل من المتعبِّدين الى سَرِيّ السقطي ، فرأى عنده جماعةً ، فقال : — صرتَ مناخ البطّالين !

ثم مضى ولم يجلس

وكان جماعة قعوداً عند معروف ، فأطالوا ، فقال :

— ان مَلَك الشمس لايفتر في سوقها ، أفما تريدون القيام ؟

وممن كان يحفظ اللحظات عامر بن عبد القيس ، قال له رجل :

— قف أُكلمك !

قال : فامسكْ بالشمس !

اغتيال الفاروق الاعظم

في محراب الرسول صلى الله عليه وسلم

شهادة شاهد عيان

اعتمدها الامام البخاري في جامعه الصحيح

اغتيال الفاروق الاعظم

قال عمرو بن ميمون الأودى يصف مارآه بنفسه عند ما كان قائما فى الصلاة وراء الفاروق الاعظم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو فى محراب مسجد المدينة :

انى لقائم ما بيني وبينه - يعني عمر - إلا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما غداة أصيب ، وكان اذا مر بين الصفين قام بينهما ، فاذا رأى خللا قال :

- استووا !

حتى اذا لم ير فيهن خَلَلاً تقدم فكبر . فرُبما قرأ بسورة يوسف أو النَّحْل أو نحو ذلك في الركعة الاولى حتى يجتمع الناس

فما هو الا ان كبَّر فسمعته يقول :

— قتلَني (أو أكَلَني) الكلبُ . .

حين طعنه ، فطارَ العلْج [١] بسكين ذاتِ طرفين : لا يمر على أحد يميناً ولا شمالا الا طعنه ، حتى طعن ثلاثة عشرَ رجلا فمات منهم تسعة (وفي رواية سبعة)

فلما رأى ذلك رجل من المسلمين [٢] طرَح عليه برْنُساً . فلما ظن العلجُ أنه مأخوذٌ نحرَ نفسه

وتناولَ عمرُ رضى الله عنه عبدَ الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقدَّمه (أي للامامة في المحراب) . فأما من كان يلي عمر فقد رأى الذي رأيتُ ، وأما نواحي المسجدِ فانهم لا يدْرون ما الامر ، غيرَ أنهم قد فقدوا صوتَ عمر وهو يقول :

— سبحان الله ، سبحان الله !

فصلى بهم عبد الرحمن صلاةً خفيفةً . فلما انصرفوا

(١) كنيته أبو لؤلؤة واسمه فيروز وكان مجوسيا ويظهر أنه كان مدسوسا على عمر

(٢) يقال له حطان التميمي اليربوعي

قال [عمر] :

— يا ابن عباس ، انظر من قَتَلني ؟

قال فجالَ [ابنُ عباس] ساعة ثم جاء فقال :

— غُلامُ المغيرة بن شعْبة

قال : قاتله الله ، لقد كنت أمرْتُ به معروفاً

ثم قال : الحمد لله الذي لم يجعل منيّتي على يد أحدٍ من المسلمين . لقد كنتَ أنتَ وأبوك تحبّان أن تكثر العُلوج بالمدينة (١)

وكان العباسُ أكثرهم رقيقا . فقال ابن عباس رضي الله عنهما :

— ان شئت فعلتُ (أي ان شئتَ قتلناهم)

قال : لا ، بعد ما تكلّموا بلسانكم ، وصلوا الى قبلتكم ، وحجّوا حَجّكم ؟

فاحتمل الى بيته رضي الله عنه . فانطلقنا معه ، قال :

---

(١) يريد سبايا الفرس وقد كان عمر يحذر اختلاطهم بالناس فيفسدوهم

فـكأن الناسَ لم تُصِبْهم مصيبة قبلَ يومئذ ، فقائل يقول :

— أخافُ عليه

وقائل يقول : — لا بأس به

فأُتي بنَبيذ فشرِبه فخرج من جَوْفه . ثم أُتي بلبن فشربه فخرج من جوفه . فعرَفوا أنه ميّت

وجاء الناسُ يُثنون عليه . وجاء شابٌّ فقال :

— أبشرْ يا أمير المؤمنين ببُشْرى الله عز وجل ، قد كان لك من صُحْبة رسول الله ﷺ وقدَم في الاسلام ما قد علمت ، ثم وَلِيت فعدَلْت ، ثم شهادة

فقال : ودِدتُ ان ذلك كان كَفافا لا عليَّ ولا لي

فلما أدْبَر الرجل اذا إزاره يَمَسُّ الأرضَ . فقال :

— ردوا عليَّ الغُلام

فقال : يا ابن اخي ، ارفَع ثوبَك ، فانه أنْقى لثوبك وأتْقى لربك

ثم قال : ياعبد الله (١) انظُرما عليَّ من الدَّين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه . فقال إن وَفى به مالُ آل عمر فأدّه من أموالهم ، والا فسلْ في بني عَدِيّ بن كَعْب (٢) فان لم تفِ أموالهم فسَلْ في قُريش ، ولا تَعْدُهم الى غيرهم ، وأدّ عني هذا المال . انطلقْ الى أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقل : يَقْرَأ عليك عمر السلام ، ولا تقل أمير المؤمنين فاني لست اليوم بأمير المؤمنين (٣) ، وقل : يستأذن عمرُ بن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه قال : فاستأذنَ وسلَّم ثم دخل عليها وهي تبكي . فقال : يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يُدفن مع صاحبيه فقالت:

— كنت أريده لنفسي ولأُوثرَنَّه اليوم على نفسي

فلما أقبل قيل : هذا عبد الله بن عمر قد جاء

---

(١) يخاطب ابنه
(٢) هم قبيلة آل الخطاب
(٣) لئلا تتلقى ما سيطلبه كأنه أمر آمر

فقال : ارفعوني

فأسْنَدَه رجل اليه

فقال : مالديك ؟

قال : الذي تحِب يا أمير المؤمنين ، أذِنَتْ

فقال : الحمد لله ، ما كان شيء أهمَّ اليَّ من ذلك . فاذا أنا قُبِضتُ فاحملوني ثم سَلِّم وقُلْ : يستأذنُ عمر . فان أذِنت لي فأدخِلوني ، وان رَدَّتني فرُدُّوني الى مقابر المسلمين

فجاءت أم المؤمنين حَفْصَة (١) رضي الله عنها والنساء يَسْتُرْنها . فلما رأيناها قمنا ، فوَلَجَتْ عليه ، فبكت عنده ساعة . واستأذن الرجال ، فوَلَجَتْ داخلا لهم (٢) . فسمعنا بكاءها من داخل . فقالوا :

— أوْصِ ياأمير المؤمنين ، استَخْلِفْ

فقال : ما أرى أحداً أحق بهذا الامر من هؤلاء النَّفَر

(١) بنت عمر (٢) أي مدخلا كان في الدار

الستة الذين توُفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ فسمّى علياً وعثمان والزُّبير وطَلْحة وعبد الرحمن بن عَوْف وسعداً رضي الله عنهم ، وقال :

– يَشْهَدكم عبد الله بن عمر وليس له من هذا الأمر شيء (كهيئة التعْزِية له) فان أصابت الامارةُ سعداً فذاك ، والا فليَسْتَعِن به أيُّكم ما أُمِّر ، فاني لم أَعْزِله من عَجْزٍ ولا خِيانة

وقال : أُوصي الخليفةَ من بعدي بالأنصار ، والمهاجرين ، والاعراب ، وبأهل الأمصار

فلما قُبِض خرجنا به فانطلقنا نمشي . فسلّم عبدُ الله وقال : يستأذن عمر . فقالت (أي عائشة) :

– أدخلوه . فادخل ، فوُضع هنالك مع صاحبيه فلما فُرغ من دَفْنه اجتمع هؤلاء الرَّهْطُ . فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه :

ـ اجعلوا أمركم الى ثلاثةٍ منكم

فقال الزبير : قد جعلت أمري الى عليّ

وقال طلحة : قد جعلت أمْري الى عثمان

وقال سعد : قد جعلت أمري الى عبد الرحمن بن عوف

فقال عبد الرحمن : أيُّكما تبرّأ من هذا الأمر فنجعله اليه ، واللهُ عليه والاسلام (١) لينظُرَنَّ أفضلَهم في نفسه

فأسكِتَ الشيخان . فقال عبد الرحمن :

ـ أفتجعلونه اليّ ؟ واللهُ عليّ أن لا آلُو عن أفضلكم

قالا : نعم

فأخذ بيد أحدهما فقال : لك من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدَم في الاسلام ما قد علمت ، فاللهُ عليك لئن أمّرْتك لتَعْدِلَنّ ، ولئن أمّرتُ عثمانَ لتَسْمَعَنّ وتُطيعَنّ ؟

(١) بالرفع فيهما والخبر محذوف أي رقيب

ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك . فلما أخذ الميثاق قال :

— ارفع يدك يا عثمان

فبايعه وبايع له عليٌّ رضي الله عنه . وَولَج أهلُ الدار فبايعوه



ذكرى شهداء العرب

ذكرى شهداء العرب

هبَّ والليلُ غُدَافيُّ الجناح
باكياً يشكو بأحشاه جراحْ
كلما صعّد أنفاساً وناحْ
وخز القلبَ وأصلاه ضرامْ
كالسهامْ
رقد الناسُ وناجى وشكا
والدجى فيه مثارات البكا
يتعالىٰ صوتهُ مرتبكا
وسوى رجع الصدى ما من مجيبْ
للكئيبْ
هبْ ليَ اللهمَّ صبراً وجَلَدْ
وله. إذْ قد وهىٰ منا الجسد

قد تقلبنا على نار الكَمَدْ

نتلظّى حرقًا في حرقٍ

في رَهَقِ

نزلت فينا وفي أمتنا

بعد عزٍّ كان في دولتنا

نُوَبٌ لم تُبْقِ من همتنا

وهي لو حلّت على طودٍ لَهَارْ

في اندثارْ

أين مجدٌ أثّلَتْهُ الخلفاءْ

والمُعَاوِيُّونَ أقمارُ السماءْ ؟

قد تلاشى معَ ذرّات الهواءْ

مُذْ تساهَلْنَا وسلمنا الزِمامْ

للأعجامْ

كلُّ ما حلَّ بجسم العَرَبِ

من هُزالٍ منهكٍ أو وَصَبِ
لم يكن إلا بسعي الأجنبي
غير أن العُرْبَ لم يعتبروا
ويذكروا . . .
كل مَنْ جاء يحيّي بآبتسام
وهو لا يبطن إلا الانتقام
حسبوه صادقاً يرعى الذمام
ثم ولوه فأصمى وغدَر
دون حَذَرْ
ليس يرعى العُرْبَ غيرُ العربي
أنبياً كان أم غير نبي !
وَخئون من بني قومي غبي
لستُ أرضى عنه « كسرى » بَدَلا
كلا ولا . . .

فعل « الفرْس » بنا ما فعلوا
و « بنو جنكيزَ » كم قد قَتَلُوا
من رجالٍ بهمُ المستقبل
كان يزهو مثلما تزهو ذُكاءْ
في السماء
من يَرُم يُحصي رزاياهم كتابْ
ضاق ذرْعاً بالذي رامَ وخابْ
إن أذاقونا بما جاءوا عذابْ
فسنُصليهم بما نأتي سعيرْ
وثبورْ
إنما الحرب كما قيل سجالْ
وحياة الناس في الكون جدالْ
والليالي بالأعاجيب ثقالْ
ليس يدري الناس ما يأتي غدُ
ثم بَعْدُ

•••

شُهداءَ العُرْب عنوانَ الكرامْ

رحمةُ الله عليكم وسلامْ

إن رقدتم تحت أطباق الرِجامْ

فلقد خلدتمُ ذكراً جميلْ

لا يزولْ

قد تركتم سيرةً في الآخِرِينْ

هي نورٌ وهدى للعالَمينْ

يُدْلِجُ الساري على فجر مُبين

من سناها في الليالي الداجياتْ

القاتماتْ

قد رأيتم عيشة الاذلال عارْ

وأبيتم أن يسومونا الصَّغارْ

فاشْتريتم بالدم الغالي الفخارْ

وبعثتم أمةً بعد المماتْ

للحياةْ

كتب التاريخ في الفخر كتابْ
أنتمُ الطُغرى به في كل بابْ
كل سطر خطّه فصل الخطابْ
يتجلَّى فيه صدقُ المرسلينْ

في الغابرين

إن شعباً أنتمُ بعضُ بَنيهْ
لهوَ شعب حازم الرأي نَبيهْ
لن يهونَ الدهرَ للخطب الكريهْ
ويرى في الهون عاراً أيَّ عارْ

وشَنارْ

•••

ياشبابَ اليومِ أبطال الغدِ

من بني يَعْرُبَ أهلِ السُؤْدَدِ
أخلصوا في السعي والمعتقد
وأنْهجوا نهجَ الكرام الشهداء
في الفداء
وَحّدُوا الرأيَ وسيروا أَمَمَا
وانشروا العلم وجارُوا الأُمَما
إن بالعلم تنالونَ السما
وكنوزاً تحت أطباقِ الثرَى
لن تحصرا
ليس أهل الغربِ أرقى فِكَرَا
إنما جَدُّوا فنالوا الوَطَرَا
وركدنا فرجعنا القهقرى
ليس للانسان الا ما سعى
وانتفعا

حَطّموا القيد وثوروا للتِّراتْ

فالى كم نرتضي الضيم حياة ؟

أحياة هذه أم ذي مماتْ

كل يوم نبأٌ يكسو البلادْ

ثوبَ حِدادْ

« جلق » تُزْهَقُ بالبيض الرقاق

وزكيُّ الدم في « الريف » يُراق

مثلما أُهْرِيقَ في أرض العراق

وبلادُ العُرْب للمستعمِرِينْ

لا تستكين

بغداد : ٤ ذي القعدة ، ١٣٤٥ محمد بهجة الأثري

العربية

﴿ في اللغة الاسبانية ﴾

للكاتب المدقق أنطون افنـدي الياس أحد أدباء العرب في الأرجنتين كتاب باللغـة الاسپانية ذكر فيه الكلمات الاسپانية الكثيرة التي من أصل عربي ، وقد أدى به البحث الى الحـكم بأن العربية أقدم لغة حية . وقد أرجع كثيراً من الـكلمات الانكليزية واللاتينية واليونانية وغيرها الى أصلها العربي وبرهن على أنها ليس لهـا في غير العربية تحليل ولا تركيب . فهي في غير العربية غريبة وفي العربية ذات نسب وسلالة . نقل هـذا رصيفنا صاحب مجـلة (الشمس) الذي يعرف الاسپانية معرفة جيدة ويؤكد أن نصفها من أصل عربي

قاضي مصر

قبل ١٢٣٠ سنة

توبة بن نمر الحضرمي

قاضي مصر

قال أبو عمر محمد بن يوسف الكنـدي (المتوفى سنة ٣٥٠) في كتابه (قضاة مصر) عند ما كان يذكر قضاة هذه الديار زمن هشام بن عبدالملك

ثم ولي القضاء بها - أي بمصر - توبة بن نمر الحضرمي.

فدعا امرأته عفيرة الاشجعية وقال لها :

— يا أمّ محمد ، أيّ صاحبٍ كنتُ لكِ؟

قالت : خيرَ صاحبٍ وأكرَمه

قال : فاسمعي . لا تعرضِنَّ لي في شيء من القضاء ، ولا تُذكرِنّي بخصم ، ولا تسالِنّي عن حكومة . فان فعلتِ شيئاً من هـذا فأنت طالق . فامّا ان تقيمي مكرّمة ، واما أن تذهبي ذميمة

ومما ذكره الكندي فى كتابه (قضاة مصر) من أمر توبة هذا وشفقته على المرأة:

ان رجلا وامرأته اختصما عنده، فطلقها. فقال له توبة:

— متعها

فقال: لا أفعلُ

فسكت عنه توبة، لانه لم يره لازما له. فأتاه الرجل الذى طلق امرأته فى شهادة، فقال له توبة:

— لستُ قابلا شهادتك

قال: ولم؟

قال: انك ابيتَ أن تكون من المحسنين، وأبيتَ أن تكون من المتقين [1] (ولم يقبل له شهادة)

---

(١) يشير الى قوله تعالى فى سوره البقرة « ومتعوهن على الموسع قدره، وعلى المقتر قدره، متاعا بالمعروف حقا على المحسنين » وقوله تعالى « وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين »

* * *

وكان توبة يقضى في الرجل يفلس بصداق امرأته كاملا ، فما بقي من ماله كان الغرماءُ أُسوة

* * *

وكان توبة لا يملك شيئاً الا وهبه ووصل به اخوانه وأفضل به عليهم

فلما ولي القضاء كان يرى أن يحجر على السفيه والمبذّر . فرُفِع اليه غلام من حِمْيَر لا تحوي يده شيئاً الا وهبه وبذّره ، فقال توبة :

— أرى أن أحجر عليك يابنيّ

قال : فمن يحجرُ عليك أيها القاضى ؟ والله مانبلغ ف أموالنا عُشر معشارِ من تبذيرك

فسكت توبة ، ولم يحجر على سفيه بعد

وبقي توبة في القضاء الى أن مات في ربيع الاول سنة عشرين ومائة

عهد دار العلوم الى بنيها

البلاغة الفصحى تسأل أدعياء التجديد : ماذا تعنون بالقديم ؟

قصيدة الشيخ محمد عبد المطلب

فى عيد (دار العلوم) الخمسيني

الى دار العلوم

لي في ظِلالكِ مَسرحٌ ومقِيلُ
روضٌ أغنُّ ومَنزلٌ مأهولُ

ومعاهدٌ نشر الحياةَ بها الحيـا
فالعيش أخضر والنعيم ظليـل

سرُّ الجمال جمالُ مصر إذا سرتْ
ريحُ الشمال بها وعبَّ النيـلُ

بلدٌ جريتُ الى المنى في ظـله
سبحاً على اللذات وهي شكول

أرِدُ المرابعَ والمصايف سادراً
أختالُ بين ظِلالها وأجول

فيحٌ إذا نهض القريضُ لوصفها
يحلو القريضُ بوصفهـا ويطول

أمرابعي والعمر فينان الهوى
ومراد لهوي والصبا معسول
بالرمل منها منزل أشتاقه(١)
إن شاق صنوي حومل ودخول
يزهي ظباء النيل دوحُ رياضه
ونسيم ذاك البحر وهو عليل
أهوي اليه على البخار إذا سرت
بالمنجدين هوادج وحمول
كالطيف يختلس الظلامَ اذا سرى
لمحاً ، وطرفُ النجم عنه كليل
واذا بكى الاثلاتِ يحيي شاقه
مغنى جفاه بقرقرى ومقيل

---

(١) الرمل ضاحية الاسكندرية اتخذه المصريون مصيفاً

غنّيتُ نشوانَ القريضَ يهزّني
سِدرٌ بريف جُهينةٍ ونخيـل(١)
أو غرّدتْ ورقاءُ رامةَ هزّها
حيٌّ هناك بذي الاراك حلول
فبجانب الفسطاط من غربيّه
وُرْقٌ لها بالمنيلين هديل(٢)
حيث القصور الشمّ تزهو حولها
غُلبُ الحدائق والنسيمُ عليل
والنيل في ثوب المخيـلة بينها
يسطو على جنباتهـا ويصول
متهنساً بين الرياض كما حبا
ليثُ العرين دجا عليه الغيل

(١) جهينة بلدة فى مديرية جرجا بصعيد مصر
(٢) الفسطاط فى جنوب القاهرة يشـقه النيل . والمنيلان بين الفسطاط والقاهرة وبجوارهما مدرسة (دار العلوم)

يانيلُ أنت ثراءُ مصر وغيثها
والارض قفرٌ والبـلاد محولُ
بك يرتوي الوادي إذا جفّ الثرى
ويبلُّ من صادي الفؤاد غليل
وعلى يمينك بالمنيرة حلةٌ
للعلم فيها جمة وحفيـل (١)
راقت بها (دارُ العلوم) مواردا
تروى بهن بصـائرٌ وعقول
أمٌّ لنا في المنجبـات مهادُها
دعم لمجد بلادها وأصول
أمٌّ اذا درج الوليـد بحجرها
فالدين يَرعى والبيـان يَعول

(١) المنيرة الحى الذي فيه (دار العلوم)

لله دَرُّ شبيبــة كفلتهم
أمٌّ لنا فى الامهـات بتول
أخذت علينا ـ منذ أيام الصبا ـ
عهدَ الكريم ، وعهدُها مسئول

* * *

ياأم عهدُكِ فى القلوب موثّقٌ
صدقُ الوفاء بحبـله موصولُ
الدينُ عهدُكِ والمكارمُ بيننـا
والعـلم والآداب والتنزيل
علّمتِنا أن (الحنيفـة) ملّةٌ
لانهجُها وعرٌ ولا مجهول
تهدي الى سُبل الرشاد إذا هوى
المفتون بالالحـاد والضليـل
رفعت منارَ الحق ، لايعيـا به
عقل ، ولا ينجاب عنه دليـل

إلاّ الذين تبوّءوا وَخَمَ الهوَى
فالنهج أعمى والمناخ وبيل

نزعوا الى دنس الاباحة فانجلى
للناس ذاك المنزع المرذول

مازوا الجديد من القديم ، وما دروا
أن الجديد من القديم سليل

جلبات إفك ، في مهالك فتنة
هوجاء ، كيدُ غواتها تضليل

دعوى ، وما ضربوا لنا مثلاً بها
يجري عليه من القياس مثيلُ

وإذا الدعاوىْ لم يقم بدليلها
في العقل ، فهي على السفاه دليل

إن كان ما زعموا « قديماً » ديننا
فليأتِ منهم بالجديد رسولُ !

أو علَّه لغةُ السماء ؟ وانها
القرآنُ والتوراةُ والانجيلُ
أو ذلك الادبُ الذي شهدتْ له
في كل شعب بالجمال عدول
زَخرَتْ به أمُّ اللغات ، ولم تزل
بعلاه تفترع اللُغى وتطول
وسيعلمون اذا الحقيقة أعرضت
أن الضلالة جُندها مخذول
وترى الجديد يصيح في حجراتهم :
ياقوم ، عن تلك المهالك زولوا !
ما فى القديم معابة إن لم يكن
فيه عن السَنن السوي عدول
وذر الجديد إذا رأيتَ سبيله
عِوَجاً عن الحق المبين تميل

واسلك سبيلك غير ذي عوَج ترد
شرع الحياة وصفوها مكفولُ
يا أمُّ كم من شِرْعة لك فى الهدى
لا وِردُها رَنْقٌ ولا مملول
يا أم كم لك من يد في شكرها
يعيا المقالُ ويعجز التفصيل
أحييتِ أحياءَ الجزيرة : مَن نمى
قحطانُ من ولدٍ ، وإسماعيلُ
فبكلِّ فصلٍ منكِ مَظهرُ أمّةٍ
من أهلها ، وبكل يوم جيل
ولو استدارَ بكِ الزمان لاصبحتْ
لكِ في عُكاظ من البيان فصول
هذا مَجالُكِ فى البلاغة فاسلكي
ماشئتِ . نهجُكِ في البيان ذلولُ

(لغة الكتاب) ، وديعة الاحقاب ،
ميراثٌ الى الاعقاب عنك يؤولُ
مَن لم يُحط بقديمها لم يعتقد
علماً بمجد الشرق وهو أثيل
وخذي المعاني في جمال جديدها
ماشئتِ ، لا حرَجٌ ولا تخذيل

﴿ المفتاح ﴾

قال لويس كوست - الذى حرر الامة المجرية من نير النمسا - :

« إذا استُعبِدَتْ أمةٌ
ففي يدها مِفتاحُ حَبْسها
ما احتَفَظَتْ بلُغتها »

عظم الهمة

محاضرة العلامة الجليل السيد محمد الخضر حسين

في دار جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية

في القاهرة

عظم الهمة

أيها السادة ،

شئون الامم شتى ، وأعزُّ شئونها مكارم الاخلاق . وحقوق الامم على علمائها وزعمائها كثيرة ، وأهم حقوقها القيام على هـذه المكارم . فالجماعة التى تعمل على تقويم الاخلاق وترقية الآداب هي التى تحمل من أعباء حقوق الامة ماكان أرجح وزناً ، وأكبر نفعا

إذاً رجال جمعية مكارم الاخلاق يُعنون بأعز شئون الامة ، ويقومون على أهم وسيلة من وسائل سعادتهـا . فجمعية المكارم جديرة بالمؤازرة ، خليقة بأن يكون أصلها ثابتاً وفرعها في السماء

شدة أثر الاخلاق السامية في تقدم الشعوب وتفوقها ، وقيام جمعية المكارم على بث الفضيلة واعلاء كلمتها ، هما اللـذان يَسّرا عليّ أن أتقدّم الى هذا المجمع الكريم وألقي فيه كلمة صغيرة أصفُ بها خلقا من أجلّ الاخلاق وهو عظم الهمة

﴿ ماهو عظم الهمة ؟ ﴾

أحكمَ علماءُ الاخلاق بيان هذا الخلق فقالوا : « هو استصغار مادون النهاية من معالى الامور »

فعظيم الهمة يستخفّ بالمرتبة السفلى والمرتبة المتوسطة من معالى الامور ، ولا تهدأ نفسه الا حين يضع يده فى أسمى منزلة وأقصى غاية . ويعبر عن هذا المعنى النابغة الجَعْدِيُّ بقوله :

بلغنا السماءَ مجدُنا وجُدودُنا   وإنا لنبغي فوقَ ذلكَ مَظهَرا

واذا كان هـذا الخلق لا يقع إلا على معالي الامور فلا عظمة لهم قوم يبتغون النهاية في زينة هـذه الحياة ، ويغرقون في التمتع بلذّاتها المـادية ، كهؤلاء الذين يسرفون فى الملابس المنمقة ، والمطعومات الفاخرة ، والمباني الشاهقة ، فان الزينة واللذائذ المادية لا تعدّ فيما تتسابق فيه الهمم من معالى الامور

اذا كان في لبس الفتى شرفٌ له   فما السيف الا غِمدُه والحمائل

والشاعر الذى يقول :

همُ الملوك إذا أرادوا ذكرَها من بعدهم فبألسُن البنيانِ

لم يقل صوابا ولم ينطق بحكمة، الا أن يريد من البنيان ما أقاموه لمصالح عامة، كأن يكون مدارسَ أو مستشفياتٍ أو دوراً للكتب أو مساجدَ يُذكر فيها اسم الله أو مَلاجيء تأوي اليها اليتامىٰ والمساكين وابن السبيل

يستصغر عظيمُ الهمة مادون النهاية من معالى الامور، واذا رأى الوسائلَ في الخارج تخونه وتأبىٰ ان تساعده على إدراك النهاية، فانه يمضي فى عزمه ويرضىٰ بمبلغ جهده، وان كان دون المرتبة العليا

ومن الخطل فى الرأي أن ينزع الرجل الى خَصلة شريفة، حتى اذا شعر بالعجز عن بلوغ غايتها البعيدة انصرف عنها جملة، والتحق بالطائفة التي ليس لها في هذه الخصلة من نصيب. والذى يوافق الحكمةَ ويقتضيه حق التعاون على سعادة الجماعة أن يذهب الرجل في همه الى الغايات البعيدة، ثم يسعىٰ لها سعيها، ولا يقف

دون النهاية إلا حيث يَنفَدَ جُهـده ، ولا يهتدي للمزيد على مافعل سبيلا

والناس فى الحقيقة أصناف :

رجل يشعر بأن فيه الكفاية لعظائم الامور ، ويجعل هـذه العظائم همته . وهذا من يسمى «عظيم الهمة» أو «عظيم النفس»

ورجل فيـه الكفاية لعظائم الامور ، ولكنه يبخس نفسه ، فيضع همه فى سَفساف الامور وصغائرها . وهذا من يسمى «صغير الهمة» أو «صغير النفس»

ورجل لا يكفي لعظائم الامور ، ويحس بأنه لا يستطيعها وأنه لم يخلق لامثالها ، فيجعل همته وسعيه على قدر استعداده . وهـذا الرجل بصير بنفسه متواضع فى سيرته

هؤلاء ثلاثة ، ورابعهم لا يكفي للعظائم ولكنـه يتظاهر بأنه قويّ عليها مخلوق لان يحمل أثقالها . وهذا من يسمونه «فخورا» ، وان شئت فسمّه «متعظّما»

من اين ينشأ عظم الهمة ؟

يتربى عظم الهمة من طريق الاقتداء ، كأنْ ينشأ الفتى تحت رعاية ولي أو استاذ يطمح الى النهايات من معالى الامور ، أو من طريق تلقين الحكمة وبيان فضل عظم الهمة وما يكسب صاحبه من سؤدد وكمال ، أو من طريق درس التاريخ والنظر في سير أعاظم الرجال ، فأنا لو اخذنا نبحث عن مفاخر أولئك الذين يلهج التاريخ باسمائهم لوجدنا معظم مفاخرهم قائمة على هذا الخلق الذي نسميه « عظم الهمة »

والقرآن يملأ النفوس بعظم الهمة ، وهذا العِظَم هو الذي قذف بأوليائه ذات اليمين وذات الشمال ، فاتوا على عروش كانت ظالمة ، ونسفوها من وجه البسيطة نسفا ، ثم رفعوا لواء العدل والحرية والمساواة ، وفجّروا انهار العلوم تفجيرا . واذا رأينا من بعض قرّائه هماً ضئيلة ونفوسا خاملة فلأنهم لم يتدبّروا آياته ، ولم يتفقّهوا في حكمه

فضل عظم الهمة

يسمو هـذا الخلق بصاحبه فيتوجه به الى النهايات من معالى الامور ، فهو الذي ينهض بالضعيف يُضطهَد أو يُزدرَى ، فاذا هو عزيز كريم . وهو الذي يرفع القوم من سقوط ، ويبدلهم بالخمول نباهة ، وبالاضطهاد حرية ، وبالطاعة العمياء شجاعة ادبية

هـذا الخلق هو الذي يحمي الجماعة من أن تتملق خصمها ، وتسل يدها من أسباب نجاتها ومنعتها . أما صغير الهمة فانه يبصر بخصومه في قوة وسطوة ، فيذوب امامهم رهبـة ، ويطرق اليهم رأسه حِطّةً ؛ ثم لا يلبث ان يسير فى ريحهم ، ويسابق الى حيث تنحط أهواؤهم

نعم ، يورد هذا الخلقُ صاحبَه موارد التعب والعناء ، ولكن التعب فى سبيل الوصول الى النهاية من معالى الامور يشبه الدواء المرّ يتجرّعه السقيم ليخلص من وجع لا يطاق

واذا كان حرص السقيم على الحياة يخفف على ذوقه طعم الدواء

المرّ فيسيغه كما يُسيغ الشراب عذباً بارداً ، فان عظيم الهمـة قد يشتدّ حرصه على الشرف حتى لا يكاد يشعر بما يلاقيـه في سبيله من أنكاد وأكدار

وربما كان الشرف الذي يركب له الاخطار والشدائد أعزّ وقعاً وادلّ على عظم همته من الشرف الذي يناله في يُسر وسهولة

اراد ابو الوليد الباجي ــ حين كان يناظر ابا محمد بن حزم ــ أن يثبت لهمته فضلا على همة ابن حزم ، فقال له :

ــ أنا اعظم منك همة في طلب العلم ، لانك طلبتَه وأنت تُعان عليه ، تسهر بمشكاة الذهب ، وطلبتُه وأنا أسهر بقنديل بائت السوق

وأجابه ابن حزم قائلا : أنت طلبت العلم فى حال فاقة رجاء تبديلها بمثل حالي ، وأنا طلبتُـه فى حين ماتعلمه وما ذكرَته ، لا أرجو إلا علوّ القدر العلمي في الدنيا والآخرة

فضل ابو الوليد الباجى همته على همة ابن حزم بما كان يلاقيه فى سبيل طلب العلم من شدّة وعناء ، وفضل ابن حزم همته على

همة أبي الوليد الباجى بأنه كان يطلب العلم لفضيلته . ولو صح قول ابن حزم ، وثبت ما اتُّهم به ابا الوليد من انه كان يطلب العلم لليسار والرفاهية ، لكان اعظم همة ؛ فان الذي يطلب الفضيلة لشرفها يكون اسمى همة ممن يريد اتخاذها وسيلة الى منصب او وجاهة او مال

يتعلق عظم الهمة بكل شأن رفيع ومقام محمود ، ولا تسع هذه الكلمة الا ان نُعرّج فيها على عظم الهمة فى العلم ، وعظم الهمة فى النصح والارشاد

﴿ عظم الهمة في العلم ﴾

تتفاضل العلوم بغاياتها ، وبقدر مايكون لها من الاتصال بسعادة الانسان . وتتفاضل همم الطلاب بالنظر الى هذه العلوم المتفاضلة في نفسها . فلكل من علم الاخلاق وعلم العروض ـ مثلاً ـ أثرٌ في الحياة الادبية ، ولكن علم الاخلاق أقرب الى السعادة منزلة ، وأوسع فيما ينفع الناس جولة . فمن يُعنَى بالاخلاق ليتحلّى بمكارمها

يكون أرفع همة ممن يُعنى بالعروض ليعرف أوزان الشعر وما يلحقها من زحاف أو علة . وأعظم من هاتين الهمتين همـة من جمع بين درس الأخلاق والعروض

أخذ بعض أهل العلم يدرس العروض بعد أن بلغ من الـكبر عِتيًا ، ولما لامه بعض أصحابه على اشتغاله بهذا العلم الصغير وهو شيخ كبير ، قال له : شهدتُ مجلس قوم كانوا يتحاورون في هذا العلم ، ولم أكن على معرفة به وكان نصيبي بينهم السكوت ، فأخذتني ذلة

فمن درس علماً فأتقنه ، ثم بسط نظره في علوم أخرى ، كان أعظم همةً ممن درس علماً ثم قعد لا يلقى لغيره من العلوم بالا ، ولا يعرف لثمرها اللذيذ طعما

كان لطلاب العـلم فى الشرق حرص على أن يستكثروا من العلم ويضعوا أيديهم في فنون شتى ، وما كانت رغبة الواحد منهم في الاطلاع على العلوم والفنون بعائقة له عن أن يُرسل نظره فى بعضها حتى يرسخ فيه فهما ، ويأخذ باطرافه علماً ، ويرقى الى المنزلة

التى تسمى « تخصصاً » . فشيخ الاسلام ابن تيمية كان طوداً راسخاً في علوم الشريعة ، وأضاف الى رسوخه في هذه العلوم أن بلغ في علوم اللغة مرتبةً تخوّله أن يخطّيء سيبويهِ في نحو أربع عشرة مسألة من علم النحو . وهذا حجة الاسلام الغزالي كان متضلّعاً من علوم الشريعة ووسائلها ، وجمع الى تضلعه فى هذه العلوم أن كان يهاجم الفلاسفة في كثير من آرائهم ويناقشها بمنطق وروية . وهذا القاضى عبد الوهاب بن نصر كان فقيها نحريراً وأديبا فائقا ، وهو الذى يقول فيه ابو العلاء المعري :

والمالكىُّ ابن نصرٍ زار في سفر بلادَنا فحمدنا النأيَ والسفرا
اذا تفقّه أحيا مالكا جدلا ويُنشر المَلِكَ الضلّيل إن شعَرا

فعظم الهمة يدعو طلاّب علوم الشريعة الاسلامية أن يمدّوا أنظارهم الى هذه العلوم الحديثة ، ليكونوا منها على بصيرة ، وليزدادوا بها بيّنة على بيّناتهم المفحمة لهذه الفئة التى تزعم أن بين الدّين والعلم خلافا ، وأن من العلم مالا يستقرّ مع حقائق الدين في

نفسٍ واحدة

ومن عظم همة القائم على بعض هذه العلوم الحديثة أن يأخذ نفسه بالاطلاع على حقائق الاسلام وآدابه، ليحرز بها الكمال والسعادة، وليتعالى عن أن يمشي وراء نفر يجتمعون علي أن يحاربوا ما فى هذا الدين القيم من حكمة وفضيلة

تتفاوت الهمم فى العلم الواحد من ناحية الاطلاع على مسائله، ثم من ناحية التصرف فيهذه المسائل بتحقيق النظر وإجادة البحث فطالب العلم الذى لايدع باباً من أبوابه الا وَلجه، ولا يغادر بحثاً من مباحثه المهمة إلا ألمّ به، يكون أعظم همة ممن لم يطرق منه كل باب، أو لم يعرّج فيه على كل مسألة قيمة. وطالب العلم الذي يخوضه بنظر حرّ، ويتناول مباحثه بنقد وبصيرة يكون أعظم همة ممن يجمع مسائله حفظاو يتلقاها كما يتلقاها حاكي الصدي لا يكلفك غير املائها عليه. وطالب العلم الذي يتحرى لُبابه ويجول فى أصوله يكون أعظم همة ممن يقضي الزمن في قشوره ويحبس النظر

في دائرة ضيّقة من فروعه

كذلك نرى الاستاذ النحرير يبخل بأوقاته النفيسة عن أن ينفقها في مناقشات واهية ، وانما يندفع الى الخوض في حقائق العلم والغوص على أسراره ، واذا توجّه الى نقد عبارة مؤلف فانما يمسّ الخلل الذي يشوّه صورة المسألة التي هي موضوع البحث

هذا والامل معقود على أن هذه المعاهد والمدارس تُنبت لنا رجالا تعظم هممُهم فيجمعون من العلوم مايجعل الشرق بحراً زاخراً، ويسيرون فى كل علم سيرة الباحث الذي يفتح فيه طرقا قيّمة ، ويجعل نتائجه فى تجدّد ونماء

﴿ عظم الهمة فى النصح والارشاد ﴾

في سبيل الدفاع عن الحق أو الدعوة الى الاصلاح عقبةٌ لايقتحمها الا ذوو الهمم الكبيرة ، فان فى طوائف المبطلين أو المفسدين نفوساً طاغية وأحلاماً طائشة وألسنة مقذعة ، وربما كانت فيهم أيدٍ باطشة وأرجلٌ فى غير الخير ساعية

فأنصار الحقيقة ينصبون أنفسهم أمام هذه الشرور كلها ، وانما تعظم هممهم على قدر ما يتوقعونه من فقد محبوب أو لقاء مكروه ، فالذي ينكر على الحكام خرقا في السياسة أو حيفاً في القضاء ،يكون أعظم همة ممن لا يحمي الحقيقة الا اذا عبثت بها أيدي الضعفاء والذين لا يجدون ماينفقون

يتمثل لكم عظم الهمة في منذر بن سعيد قاضي قرطبة حين قام في خطبة الجمعة ينكر على الخليفة عبد الرحمن الناصر اسرافه فى الانفاق على تشييد المباني وزخرفتها ، وأخذ يلقي الخطبة فى كلام جزْل افتتحه بقوله تعالى «أتبنون بكل رِيعٍ آية تعبثون ، وتتخذون مصانعَ لعلكم تَخلدون ، واذا بطشتم بطشتم جبّارين »وسلك ذلك الكلام الجزل وهو على علم بان الخليفة حاضر مستمع اليه ، ولكن الخليفة انصرف بعد أن قضيت الصلاة ، ولم يزد على أن صار يصلي فى جامع لايخطب فيه منذر بن سعيد

يشهد العالمان الرجلَ من ذوي الشأن يعمل عملا غير صالح ،

وأعظمها همة هو الذى يسبق الى انكار عمله ، وتذكيره بسوء عاقبته . دخل ابو عثمان بن ادريس ومنذر بن سعيد البلوطي على الخليفة الناصر وهو في الزهراء ، فأنشد ابو عثمان أبياتا أطرى بها الخليفة على هذا البناء ، فابتهج الناصر واهتزَّ لهذا الاطراء . أما منذر بن سعيد فانه أطرق ساعة ، ثم رفع رأسه وقال :

يابانيَ الزهراء مستغرقا أوقاته فيها أما تمهلُ
لله ما أحسنها رونقا لو لم تكن زهرتها تذبل

فقال الناصر : اذا هب عليها نسيم التذكار ، وسقتها مدامع الخشوع ، لاتذبل ان شاء الله . فقال منذر : اللهم اشهد ، فاني قد بثثت ما عندي ، ولم آلُ نصحاً

وأصاب منذر فيما قال ، فقد ذبلت زهرة الزهراء وتهدمت قصورها يوم قام محمد بن هشام على بنى عامر وانتزع الملك من أيديهم واستولى على قرطبة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة

واذا كانت الدعوة من معالي الامور فنهايتها التى يبلغها الداعي

المصلح أن يرشد الى ما يراه حقاً ، ويحذر مما يراه منكراً، غير حافل بما يحفل به ضعيف الايمان، أو قليل الاخلاص من رضا الملأ الذين استكبروا

رفع القرآن مكان الدعوة ، ثم جعل الدعاةَ الى حق أو اصلاح خير أمة أُخرجتْ للناس . وقد خرج بفضل القرآن رجال عظمت هممهم ، فكانوا يؤثرون الحق والنظام على منافعهم الخاصة ، ويحتملون في سبيل النصح والارشاد ما تدعوهم الحكمة الى احتماله من فقد السرّاء او لقاء الضراء . وسنرى بتوفيق الله تعالى من هذه المعاهد والمدارس رجالا كثيراً يقدرون عظم الهمة في النصح للامة، وينهضون بهذا الواجب ضاربين بمنافعهم الخاصة الى وراء . واذا فاتهم ان يروا ثمرة جهادهم بأعينهم ففي شرف الجهاد وإنارة السبيل للاجيال القابلة كفاية

لولا تجلد شارل مارتل

لولا تجلد شارل مارتل

شبلي بك ملاّط من أشعر مسيحيي لبنان ان لم يكن أشعرهم ، وقد أنشد في مهرجان تكريم شوقي بك في القاهرة قصيدة قال فيها :

مَن للزمان بمثل فضل محمدٍ
وعدالةٍ كعدالة ابن الخطّابِ
رفعَ الرسولُ عمادَ أُمّة يعرُبٍ
وأعزَّها بالآل والأصحاب
غَشَتِ الفتوحُ وصفّقَتْ راياتها
في الشرق فوق أباطحٍ وهضاب
وتغلغلتْ في الغرب طائرةً على
أكتافِ صقرٍ جارحٍ وعُقاب

لولا تجلّد (شَرْلِ مَرْتِلَ) خيمتْ
في قلبه بسُرادقٍ وقباب[1]
ولكان صار الغربُ أندَلُساً به
شوقي يقول سَوَاحراً وسَوابي

* * *

حيّ الجزيرة في مَسارحها وما
في الريف من ريّ ومن إخصاب
واسمعْ فديتُك نَبرةً مصرية
عربيةً في مَنطقٍ خلاّب
واستنشدِ القرآنَ قوماً جوّدوا
منه بآيٍ في النفوس عِذاب

(١) يشير الى الملحمة الكبرى بين العرب والافرنج فى (بواتيه) بفرنسا ، وقد أراد الله أن يقطع شارل مارتل على العرب خط تبسطهم بالفتح الاسلامي فى أوربا بما أبداه من تجلد وصبر . ويعد بعض المنصفين من الافرنج انكسار العرب يومئذ نكبة على الحضارة ، ولو انتصروا لجاءت الحضارة الحالية قبل مائتى سنة من أوانها ، وكانت تكون بأسلوب أفضل واسعد

واقرأ به فُصحى اللغات مُدِلَّةً
في المشرقين بجوهر الاحساب
أخذتْ قريش بجزْلها وَبكتْ بها
غِرناطـة في رِقـةٍ وعِتاب
لولا يدُ الاسلام لم تَسلم بما
فيها من الأخلاق والآداب
ولو ارعوى من صدَّ عنها زاهداً
مُتغللا بعنا كِب الأسباب
لأريتُه عندَ العياء خطاءه
وأريته عند البيان صوابي
من لم يصنْ لغةَ الجدود فليس من
قوميةٍ تنميه في الأنساب



اللغة والامة

اللغة والامة

اللغة من الامة كالقلب من الجسم : كلاهما ألطف شيء وادقه ، وكلاهما لا تكون بدونه الحياة

وما من أمة خلعت دهراً لبسته ، فخرجت بذلك من ماضيها وطفقت تعمل لحاضرها وتمهد لمستقبلها ، الا كانت لغتها معقداً لهذه الاطراف الثلاثة من التاريخ

ذلك أن اللغة من مشخصات الامة الناطقة بها ، فما فرطت أمة في جانب لغتها الا كان ذلك ايذانا بفدح مصابها أو ايذانا بوشك ذهابها

بل ليس هذا التفريط إلا انقطاعاً من سلك التاريخ ، وما انقطعت امة من سلكه الا جهلته فكان مَثلها مَثل الرقيق الذي يألف من فقدان حريته أن يجهل حريته اذا ملك أمره

فهو ان لم يجد مالكا يسخره كرهاً سخر نفسه طوعاً على أن يؤجر عساك حياته اذ تكون حريته مادةً في معدته ، بعد أن كانت معنى روحانياً في فطرته

أجل ؛ ان اللغة وصلة بين غابر وحاضر ؛ فاذا ضاعت لغةامة انقطعت أواصر النسب بين السلف والخلف ، وفقدت الامة بفقدان لغتها سجلها الحي ، فالتوى لسانها الناطق وسكن قلبها الخافق ؛ وفي بعض ذلك كل الموت

وأنت ألست ترى اذا ذهبت توازن بين أخطار الامم أن أهونها على الدهر خطراً هي التي جهلت لغتها ، وما لغتها الا لسان تاريخها ، فلم تعد ترتبط من الزمن بصلة ، وكان من الهين على من يشاء أن يستلحقها وهان عليها أيضاً أن تلتحق بكل تاريخ كما يلحق الخادم بكل من يستخدمه لا يميز بين سيد وسيد الا بمقدار الاجر الذي يبيع به كرامته ويشتري

به مهانته

وهل تفرق بين امة حاضرة بليَ فيها لسانها وأمة غابرة بليت عليها أكفانها ، وكلتا الامتين ميتة ، الا بأن الاولى لم يُشقّ لها قبر !

ألا ان اللغة تركة الماضي وغنى الحاضر وميراث المستقبل وهذه الثلاثة الازمنة هي كل أعمار الامم في التاريخ

فما أدري اذا أضاعت امة لغتها باي شيء يشار اليها وباي دلالة يدل عليها ، ولا أعرف اذا لم تتميز جنسية أمة بلغتها أي حد يفصل بينها وبين غيرها من الامم

ولقد علمنا أن لكل امة شاهدا من لغتها على مافطرت عليه من دين ، ودوّن لها من تاريخ ، وعرف عنها من نسب ومدنية وفنون ، ففقدان أمة لهذه الثروة المعنوية اعترافٌ منها بسفاهتها ، وبأنها فى حاجة الى القوّام

ولقد أراق الكتاب كثيراً من المداد في بيان أن اللغة هي الاساس الذي يقام عليه بنيان الوحدة في كل جنس، وانها هي الصلة الحسية بين المتكلمين بها أفراداً، وصورة الحياة الاجتماعية عندهم تركيباً؛ وكفى في الدلالة على ما بين اللغة والامة من علاقة وثيقة انك لا تجد أمة في مكان من العزة مكين الاحيث تجد لغة أهلية قائمة السلطان على الالسنة، ولا تجد لغة عرضة لغائلة الحوادث الا حيث تجد أمة عرضة لعوادي المقادير

ألا ان اللسان من حيث هو مُضغة مرآة للصحة، ومن حيث هو لغة مرآة للأمة. فأخلق بأمة تسلم لغتها للفناء، أن نقرأ عليها منذ الآن قصائد التأبين والرثاء؟

محمد صاق عنبر



جوامع الكلم

* أفضل الصدقة صدقة اللسان : تدفع بها الكريهة ، وتحقن بها الدماء

* افضل الجهاد كلمة حق عند ذى سلطان جائر

* مذاكرة الرجال تلقيح لعقولها

* رحم الله عبداً تكلم بخير فغنم ، أو سكت فسلم

* الصمت نوم ، والنطق يقظة

* الرأى الساكت بين النائم والاخرس

* ان القلوب تمل كما تمل الابدان ، فابتغوا لها طرائف الحكمة

* ان للقلوب شهوة واقبالا ، وفترة وادبارا . فخذوها عند شهواتها واقبالها ، وذروها عند فترتها وادبارها

* القلوب تحتاج الى قوتها من الحكمة كما تحتاج الابدان الى قوتها من الغذاء

المدنيات الثلاث

المدنيات الثلاث

خطب الفاضل الشهير المسيو توسين ـ فى حفلة كبرى اقيمت فى باريس احتفالا بشاعرية شوقى ـ فقال :

« ان الحرب العامة اثبتت فسادَ نظريات الغرب ، وأوضحت كونَ المدنية المبنية على المادة وحدها قاصرة عن الوفاء بحاجة الانسانية »

ثم قال « ان أمراض المدنية الغربية الحادثة قد بدأت تسري الى الشرق » . وأورد مثلا على ذلك صنيعَ انقرة التي نقضت التقاليد ، ومرقت من الديانة ، مع أن هاتين هما البنيان فى عظمة تركيا السابقة »

فاجابه كاتبنا الاكبر الامير شكيب ارسلان بقوله :

« لستُ متفقاً مع المسيو توسين فى كل ماذكره عن مدنية الغرب ، فالشرق مديون للغرب بكثير من أسباب المدنية ، لاسيما فيما يتعلق بالرفهِ وتدبير المنزل ونظام الاجتماع وفنون الصناعة وجرّ الاثقال . كما أن الغرب مديون للشرق بمبادىء الانسانية العليا

« وبالاجمال المدنيّات ثلاث :

احداها تكاد تكون روحية صرفة ، وهي (مدنية الصين والهند)

والثانية تغلب عليها المادية الصرفة ، وهي (مدنية أوروبا وأمريكا)

والثالثة وسط بين الاثنتين، وهي (المدنية الاسلامية).

فالواجب أن يُستفاد من المدنيات الثلاث ليؤخذ من ذلك مجموع لاشكّ أنه يكون في تحقيقه سعادةُ المجتمع البشري »

فكان لكلام الامير تاثير عميق فى نفوس علية الفرنسيين ، ووافقوا جميعاً على انه الحق



* على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل ؛ فان هذه الساعة عون له على سائر الساعات

فضل العلماء

* ذُكِر لرسول الله ﷺ رجلان عابد وعالم، فقال: فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم * الترمذي (وصححه)

* قال ﷺ: ان الله تعالى وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض حتى النَّملة في جحرها والحيتان في البحر يصلون على معلم الناس الخيرَ * الترمذي

* قال ﷺ: فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد * الترمذي

* سئل النبي ﷺ: أيُّ الناس أكرمُ عند الله تعالى؟ قال: أكرمهم عند الله أتقاهم. قالوا: ليسَ عن هذا نسألك. قال: فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فعن معادِنِ العرب تسألوني؟ قالوا: نعم. قال فخِيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقِهُوا * الشيخان

صِدقُ المحامي

صدق المحامى

عانى سعد زغلول باشا مهنة المحاماة فى صدر حياته المملوءة بالعمل ، ثم كان قاضيا ، فعرف فى موقفه من آداب المحاماة مالم يعرفه الكثيرون . وقد وفد عليه فى اليوم الاول من شهر جمادى الاولى سنة ١٣٤٥ وفد من طلبة الحقوق فى القاهرة فالقى فيهم خطبة قال فيها :

قد هيأتم لي فرصة أحدثكم فيها عن الصدق وفضيلته وحسن أثره ، خصوصا بالنسبة للمحاماة التى تُعدُّون أنفسكم لمزاولتها

توهم البعض أن البراعة في المحاماة تكون بالقدرة على قلب الوقائع ، وتمويه الحقائق ، ولبس الحق بالباطل . ولكنه توهم فاسد ، لان الصدق هو أساس المحاماة وحليتها . وكلما كان المحامى صادق اللهجة ، شريف النزعة ، كان أثره في المحاماة محموداً ، ونجاحه مضمونا

لاينبغي للمحامى أن يؤجر ذمته لموكله ، وأن يقف من القاضى موقف العامل على اخفاء الحق واظهار الباطل ، بل يجب أن يقف منه موقف الباحث عن الحقيقة ، المنير لطريق

العدالة ، وأن يكون حريصاً على اكتساب ثقة القاضي ، لان هذه الثقة هى أساس نجاحه فى عمله

ولهذه المناسبة أسوق لكم شاهداً وقع لبعض المحامين فى زمن اشتغالي بالمحاماة وقد كان معروفا بوفاء الذمة وصدق القول ، وقد دافع أمام محكمة الاستئناف عن متهم كان محكوما عليه ابتدائيا بالاعدام ، وفند جميع الادلة التى بنى عليها الحكم الابتدائى تفنيداً تاما ، غير أن المقرر في القضية - أثناء المداولة مع اخوانه - خالف رأي المحامي وقال ان كل ما أتى به فى دفاعه مغالطة . أما زملاؤه فكانوا يعهدون في المحامي غير ذلك ، فاضطروا الى أن يقرأ القضية كل واحد منهم ، ثم أجمعوا رأيهم على مخالفة زميلهم المقرر والحكم ببراءة المتهم

فانظروا كيف أثر صدق المحامي في آراء القضاة وكيف نجّى بصدقه موكله من الاعدام

فكونوا مثالا للصدق ووفاء الذمة تنفعوا فنكم

التشجيع على الصدق

مرّ عبد الله بن عمر بن الخطاب براعٍ مملوك ومعه غنم سيده ، فأراد أن يمتحن أمانته فقال له :

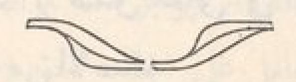
— هل من جَزْرة ؟ (١)

قال الراعي : ليس هاهنا ربُّها

قال ابن عمر : تقول له « ان الذئب أكلها ! »

فقال له الراعى : اتقِ الله !

فسُرَّ ابن عمر من هذه الاخلاق ، وشعر في نفسه بضرورة تشجيع صاحبها عليها ، فاشترى الراعيَ من سيده وأعتقه ، واشترى الغنم أيضاً ووهبها له



---

(١) شاة تصلح لان تجزر

الدقائق

الدقائق

« يا هاجراني بلا عتابْ ولا رُجوعْ
ياطائراتٍ الى السَّحَابْ طيْرَ الجزُوعْ
أنتُنَّ بعْضي فأيُّ ذَنْبٍ يُشْجي القريبْ؟
الهجرُ قاسٍ وأيُّ صَعْبٍ هجْرُ الحبيبْ!»

***

قلنَ الدقيقاتُ الحِسَانْ: « أنتَ المُسيءْ
ضيَّعْتَنا ضَيْعَ الهوَانْ لَسْنَا نفِيءْ
ما مرَّ لن يأتي وإنْ صَافَى الزَّمَنْ
سِيَّانِ تلهو أو تئِنْ لن تُؤْتَمَنْ
لم تدْرِ ما معْنَى الحياةْ حتى المَشيبْ
أنفقتَها دونَ انتباهْ مثلَ الجنيبْ

والآن ما تبغي وقدْ ولَّى الغِنَى ؟
هيهات يُرْجَى المفتَقَدْ يا مَنْ جَنَى !

لو كنتَ قدَّرْتَ الوُجودْ تقــــــديرَنا
ما لُمْتَنَا لَوْمَ الجحُودْ أو خُنْتَنَا ..! »

⁂

إحرصْ على النفع الأتَمْ مِن الدقيقهْ
إنْ تَنْسَهَا تَنْسَ الأهمْ بـل الحقيقهْ

ما العُمْرُ الأَ جَمْعُها أو ضَيْعُهـــا
ما النُجحُ الا نَفْعُها لا دَفْعُهـــا !

أبو شادي



كلمة الأولى

لما زار جلالة الملك فؤاد متحف (روما) الكبير وقف طويلاً عند (القسم الاسلامي) منه . فلما قُدّمت اليه (دائرة المعـارف الاسلامية) أخذ جلالته يتأملها ملياً ثم قال لثروت باشا على مسمع من الحاضرين :

— لقد كان الاولى أن يقوم المسلمون بهذا العمل العظيم

ولعل هذه الـكلمة تحفز حكومة مصر الناهضة الى أن تعمل لمعاونة المشتغلين بهـذا الضرب من العـلم على ايجاد (دائرة معارف اسلامية) من وجهة النظر الاسلامية . واذاهي أرادت ذلك فان في العالم الاسلامي كثيرين يساعدون على تحقيق هذه الامنيـة ، مثل (دار المصنفين) في الهند و (المجمع العلمي العربي) بدمشق وكل من يشرب من هذا الينبوع فى سائر الاقطار الاسلامية

طريقة الغرب

في الاستيلاء على الامم

بقلم كاتب الشرق الاكبر الامير شكيب ارسلان

طريقة الغرب

في الاستيلاء على الامم

غوليلمو فريرو الفيلسوف الكاتب الايطالى الشهير يعد اليوم النقريس الاكبر فى علم الاجتماع والتاريخ لا فى ايطالية فحسب بل في أوربة بأجمعها. واذا كتب كتاباً أو نشر مقالة تجاوبت لها اصداء الشرق والغرب، وتركت دوياً

كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر

نشر الفيلسوف المؤرخ المشار اليه كتاباً أخيراً باسم (وحدة العالم) لا يزيد على مئات معدودات من الصفحات، طاف فيه جميع الحوادث الجارية علي سطح الكرة الارضية، ودقق في مصادرها واسبابها، فذهب الى انها - مع تناقصها وتصادم بعضها ببعض - سائرة فى الحقيقة على نظام ثابت مستقيم، ووصل الى هذه النتيجة وهي:

ان مشروع الفتح والامتداد الذي يتابعه العالم المتمدن (أي الاوربي) منذ أربعة قرون ، والذي بدأ بطيئاً وانقلب سريعاً في آخر الايام ، يظهر للمتأمل انه آيل الى « توحيد العالم الانساني ! » . ولم يكن هذا « التوحيد » ليتم بدون جهد وبدون بلاء ، لان البشر خلقوا أطواراً ، وبينهم من التدابر والتقابل ما يؤذن بالاخذ والرد والعكس والطرد ، وهناك أسباب عديدة للحب والبغض والقرب والبعد . مع هذا كله تجد العالم سائراً الى الوحدة . فاذا نظرنا في كيفية السوق السائد الآيل الى هذه الوحدة وجدناها :

بالانجيل ،

وبالسيف ،

وبالاخاء ،

والافناء ،

وبتبادل المساعدات ،

وتبادل طلقات المدافع ...

هكذا قدر على البشرية وهو انه لا يمكن اخراج هذه « الوحدة » الا من وسط المعامع والمعارك الفجيعة ، الا أنها ستكون أخيراً

ثم ذكر فريرو ـ تعزيزاً لرأيه ـ وجوه الوحدة البشرية كلها ، وأبان أنها كلها مستحيلة ما عدا هذا الوجه الذى ذكره : الانجيل والمدفع ...

فقال : « ان الوحدة لا تكون بتغلب امة على امة أو جنس على جنس بقوة الحكومة ، ولا يمكن أن يكون فرد واحد سيداً للعالم . كذلك الوحدة لن تكون بتوحيد اللغات ، فهذا غير ممكن . ولن تكون بالعلاقات المالية كالتجارة والصرف والصناعة ، فقد علمنا أن أصحابها لا يهتمون بالسياسة العامة الا بالمقدار الذى يلزم لاشغالهم ، وطالما قال اناس ان المال هو الذي يدير شؤون العالم لكنهم

لم يوضحوا لنا كيف يديرها

« على أنه برغم اختلاف العناصر واللغات وتصادم المجاري والمصالح وتعدّد الحكومات والهيئات المديرة للبشر، نجد روح العالم سائراً من كل جانب الى الوحدة. فهذه الوحدة انما تكون بنوع من الديموقراطية يسود على العالم الآني ويقرّب بين أجزائه بصورة غير محسوسة! »

هذه خلاصة نظريات الفيلسوف الايطالى فريرو. وظاهر أنه يقصد بالانجيل « الثقافة الغربية » التي هي وحدها تمشى في آسية وأفريقية وفي يدها الواحدة « السيف » وفي الاخرى « ضماد للجرح ». وهي وحدها التي تتفنن في طرق استئصال البشرية، وفى طرق توفير صحة البشر: تجمع في وقت واحد بين الضدين. وهي التي بين يديها الجندي من جهة، والقسيس من جهة اخرى!

وكأن فريرو يريد بقوله « الانجيل والمدفع » الترغيب

والترهيب : فأوربة تريد سوق الناس وراءها بكل الطرائق سلمية كانت أم حربية ، وانسانية أم وحشية . فهي تستعمل الحلو والمر ، والعرف والنكر ، والإحياء والافناء . كل ذلك عندها جائز ، بشرط الحصول على مرادها ، وهو أن تصبغ جميع البشر بالصبغة الاوربية ، وتطبعهم بطبائعها ...

أما الانجيل الحقيقي فليس المراد هنا ، لان الانجيل الحقيقي هو وحي ساميّ شرقي ، والثقافة الاوربية هي ثقافة يونانية لاتينية ليس فيها من الانجيل سوى الاسم ، كما يعترف بذلك فلاسفتهم المحققون . ولعمري ان تعاليم المسيح عليه السلام في واد والثقافة الاوربية في واد ، وان الامر هو كما قال (رنان) وكثير من حكماء أوربة : لو جاء المسيح اليوم لـكان غريباً عن هؤلاء المتكلمين باسمه ...

وسواء كانت الدعاية هي لانجيـل حقيقي أو انجيل أوربي آري ، فالمقصود هو واحد ، والشاهد هو ان أوربة

تسوق اليه الناس بالقهر واللطف، والشدة والعنف. وانها تبطش بالامم غير الاوربية وتتودد اليهم وتقتلهم وتبكي عليهم، وكل هذا لاجل نفوذ دعايتها، ونشر ثقافتها بأى سبيل

وفي ذلك بلاغ لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد

شكيب ارسلان

﴿ وارثُ العالَم ﴾

النّاسُ ذو فقرٍ يروم الغنى
وآخرٌ للناسِ ما يقتني
ويستوي هذا وهذا غداً
يا وارثَ العالَمِ أنتَ الغني

شوقى

بين صحابيين

كتب أبو الدرداء الى سلمان الفارسي :

— هَلُمَّ الى الارض المقدسة

فكتب اليه سلمان : إن الارضَ لاتقدّس أحداً ، انما يقدسُ الانسانَ عملُه . وقد بلغني أنك جُعِلت طبيباً تداوي ، فان كنت تبريء فنِعِمّاً لك ، وان كنت متطبّباً فاحذر أن تقتل أحداً فتدخلَ النار (١)

فكان أبو الدرداء رضي الله عنه اذا قضى بين اثنين ثم أدبرا عنه نظر اليهما وقال :

متطببٌ والله ، ارجعا إليَّ فأعيدا عليَّ قضيتكما

كنى بالطب هنا عن القضاء ، لان منزلة القاضي من الخصوم وفصل الحكم بينهم بمنزلة الطبيب من اصلاح البدن

(١) المتطبب الذى يتعاطى الطب ولا يجيد معرفته

يا أيها الناس!

يا أيها الناس !

شهد أهوال الزلزلة في مدينة عمّان صديقنا السيد محمد الشُريقي ، فقال يصفها :

صوتٌ اثار عذابا وروَّع الآمنينا
هدَّ القَطِينَ نفوساً دكَّ البلاد حُصونا
أذوى الحسان وُروداً وأثكل المطفلينـا
لم يَرْعَ في الناس شيباً ولا شباباً رَصينا
وفي خِـلال ثَوانٍ أشقى العباد سِنينا
ردَّ البيوتَ رُكاما وجندل المتمَنينـا
ولم يُميّزْ مصلّىً من حانةِ المدمِنينـا

***

سألتُ نفسي ونفسي منارةُ الحائرينـا :
ماذنبُ هذا المصلّى ورهطِهِ الصالحينا ؟

حتى الزَّلازلُ تأتي عليهم أجمعينا ؟
فقالت النفسُ قولاً أُراه حقاً مبينا :
ليس الكمالُ مثالاً بل غايةً ويقينا
يظلُّ حيّاً اذا ما لاح المثالُ طعينا
وقد يكون بقاءٌ ماقد حسبتَ مَنونا
فمدتُ والحقُّ بادٍ لأُوقظَ الغافلينا
وصحتُ في الناس: هذا صخرٌ يفيضُ عيونا
قد ظلَّ يجري زُلالاً إذا به أتُونا
ليس النقائصُ إلا مَناوِر الباحثينا
فهل قبستم ضياءً كما رشفتم معينا
وقمتمُ بين ظلٍّ ومارجٍ تفكرونا
كتمتم الخير حتى أقرَّه الجاحدونا
أم لم تزالوا حيارَى في حندِسِ الغابرينا !

* * *

يا أيها الناسُ مَهلاً لقد سلكتم حُزونا
هجرتمُ الخيرَ حتى تأصلَ الشرُّ فينا
وقلتم الدهرُ باغٍ وأنتم المفترُونا
أين الكمالُ مقيماً للعلم صرحاً مَكينا
للحسن رَوضاً أريضا للحقّ حِصناً حَصينا
للدين مَعبدَ حُبٍّ للشعب مُلكاً أمينا
حتى مَ نبقى عَبيداً لشهوة الطامعينا
لقد رأوكم قليلا وأنتم الا كثرونا
أضعتم الخير لما رَضيتمُ العيشَ هُونا
هلاّ استبقتم طريقا لايَحرِمُ السابقينا ؟

***

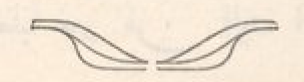
أهابَ بالارض صوتٌ فزلزلَ العالمينا
وما برحتم ذِئاباً بِضغنكم مُمعنينا
غُلفَ القلوب صِلاباً بنابكم تفخرونا

يعيش فيكم غريبا ذو الفضل لا بل مَهينا
وتحسبون كمالاً هذا النُضارَ الامينا
عبدتمُ الظُلمَ خوفاً وما علوتم فنونا
ما العلم ما الحسنُ إلا عُلالة المتعسينا
ما الحقُّ إلا حُسامٌ عن حدّه ماغنينا
والمالُ ما زال ربّاً والفيءُ مازال دِينا

***

يا أيها النـاسُ هلاّ سلكتمُ الخيرَ حينا
فمسلك الخير أنفىٰ للشر لو تعلمونا

عمان
محمد الشريقي



القناعة

وغنى النفس

قال ﷺ : ليس الغنى عن كثرة العرض[١] ، ولكن الغنى غنى النفس * الشيخان والترمذي

قال ﷺ : اذا نظر أحدكم الى من فُضِّل عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو أسفل منه ، فذلك أجدرُ أن لا تزدروا نعمة الله عليكم * الشيخان والترمذي

قال ﷺ : ابنَ آدم ، انك ان تبذل الفضلَ خير لك ، وإن تمسكه شرٌّ لك ، ولا تُلام على كَفاف . وابدأ بمن تَعول . واليدُ العليا خير من اليد السفلى * مسلم والترمذي

(١) المال والقنية

حملة الاسلام

على رذيلة الاستجداء

حملة الاسلام

على الاستجداء

* أتى رجلٌ من الأنصار يسأل رسول الله ﷺ ، فقال ﷺ : أما في بيتك شيء ؟ قال : بلى ، حِلْس (١) نلبَس بعضه ونبسُط بعضه ، وقَعْب نشرب فيه الماء . فقال : ائتني بهما . فأتاه بهما . فأخذهما ﷺ بيده وقال : من يشتري هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهم . قال النبيُّ ﷺ : من يزيد على درهم ؟ (مرتين أو ثلاثا) قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين . فأعطاهما إياه ، وأخذ الدرهمين فأعطاهما للانصارى ، وقال : اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه الى أهلك ، واشتر بالآخر قَدوماً فأتني به . فأتاه به . فشدَّ فيه رسول الله ﷺ عُوداً بيده ، ثم قال له : اذهب فاحتَطِبْ ، وبِعْ ، ولا أرينَّك خمسة عشر يوماً . ففعل .

---

(١) الحلس : كساء غليظ يلى ظهر البعير تحت القتب

ثم جاء، وقد أصاب عشرة دراهم . فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً .فقال له صلى الله عليه وسلم : هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتةً في وجهك يوم القيامة (١) . ان المسألة لا تصلح الا لذي فقر مُدْقِع، أو لذي غُرْم مُفظِع، أو لذي دم موجِع (٢) » أبو داود (وهذا لفظه) والترمذي باختصار (٣)

* قال صلى الله عليه وسلم: المسائل كُدُوح (٤) يكدح بها الرجل وجهه : فمن شاء أبقى على وجهه، ومن شاء تركه . الا أن يسأل الرجل ذا سلطان في امر لا يجد منه بداً * أصحاب السنن

* سأل رجل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه . فلما وضع رجله على أُسْكُفَّة الباب (٥) قال صلى الله عليه وسلم : لو تعلمون ما في المسألة

(١) النكتة : النقطة والعلامة والتشويه

(٢) أي الذى تحمل دية ان لم يؤدها كانت العاقبة موجعة له

(٣) قال الترمذي : حسن لا نعرفه الا من حديث الاخضر بن عجلان اه (٤) خموش (٥) عتبته

ما مشى أحد الى أحد يسأله شيئاً * النسائي

* قال ﷺ : لأن يأخذ أحدكم أحبُله ثم يأتي الجبلَ فيأتي بحُزمة من حَطَب على ظهره فيبيعها خيرٌ له من ان يسأل الناس ، أعطوه أو منعوه * البخاري

* قال ﷺ : من يتَكفلُ لي ان لا يسأل الناس شيئاً ، وأتكفلُ له بالجنة ؟ فقال ثوبان : أنا (فكان لا يسأل أحداً شيئاً) * أبو داود والنسائي

* قال ﷺ : لا تُلْحفوا في المسألة (١) ، فوالله لا يسألني أحد منكم شيئاً – فتُخرِج له مسألته شيئاً وأنا له كاره – فيبارَك له فيما أعطيته * مسلم والنسائي

* روى ابن الفِراسي (٢) أن أباه قال : يارسول الله ، أسأل ؟ قال : لا ، وإنْ كنتَ لابد ، فاسأل الصالحين *

---

(١) الالحاف : الالحاح

(٢) هو من بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة ، ولا يعرف اسمه

أبو داود والنسائي

* قال صلى الله عليه وسلم : من سأل الناس وله مايغنيه ، جاء يوم القيامة ومسئلته في وجهه خُموش أو خدوش أو كدُوح . قيل : وما يغنيه ؟ قال : خمسون درهما أو قيمتها من الذهب * أصحاب السنن

* قال صلى الله عليه وسلم : من سأل الناس تكثُّراً ، فإنما يسأل جَمْرا ؛ فليستقِلَّ أو ليستكثِرْ * مسلم

* قال قَبيصة بن مُخارق : تحمَّلتُ حَمَالة [1] فلقيت ، رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها . فقال : أقم حتى تأتينا الصدقة ، فنأمر لك منها . ثم قال : ياقبيصة ، ان المسألة لاتحل الا لأحد ثلاثة : رجل تحمَّل حَمَالة ، فحلت له المسألة حتى يصيبها ، ثم يُمسك . ورجل أصابته جائحة [2] فاجتاحت ماله ، فحلت له المسألة حتى يصيب قِواماً

(١) الحمالة ديات القتلى يلتزم الرجل اداءها طلباً للصلح واتقاء الفتنة
(٢) آفة تستأصل ماله وتدعه محتاجاً الى الناس

من عيش (أو قال سِداداً من عيش [١]) ورجل أصابته فاقة ، حتى يقول ثلاثة من ذوي الحِجَى من قومه : لقد أصابت فلاناً فاقة ، فحلّت له المسألة حتى يصيب قِواماً من عيش (أو قال سِداداً من عيش) فما سواهن من المسألة يا قبيصة سُحْتٌ ، يأكله صاحبه سحتاً * مسلم وأبو داود والنسائي

* أتى اعرابي النبيَّ ﷺ وهو واقف بعرفة ، فأخذ بطرف رِدائه وسأله إياه . فأعطاه إياه ، فذهب به معه . فعند ذلك حُرِّمت المسألة ، فقال ﷺ : « إن الصدقة لا تَحلُّ لغني ، ولا لذي مِرَّة سَوِيّ [٢] . ولا تَحلُّ الا لذي فقر مُدْقِع ، أو غُرم مُفظِع ، أو دم موجِع . ومن سأل الناس ليُثري به ماله كان خُموشاً في وجهه يوم القيامة

(١) القوام والسداد : أقل مايكفي
(٢) المرة : القوة ، والسوي : التام الجسم ، السليم من الآفات

ورَضفًا يأكله من جهنم (١) . فمن شاء فليُقلل ومن شاء فليُكثر » * الترمذي (٢)

* قال ﷺ : من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسدَّ فاقتُه . ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيُوشِك الله له برزق عاجل أو آجل * أبو داود والترمذي وصححه (٣)

* سأل ناس من الانصار رسول الله ﷺ ، فأعطاهم ماسألوه . ثم سألوه ، فأعطاهم ما سألوه . ثم سألوه ، فأعطاهم ما سألوه . حتى اذا نفد ما عنده ، قال : ما يكون عندي من خير فلن أدَّخره عنكم ، ومن يستعفف يُعفَّه الله ، ومن يستغن يغنِهِ الله ، ومن يتصبَّر يُصبِّرْه الله . وما أُعطي أحد عطاءً هو خيرٌ له وأوسع من الصبر * الستة

---

(١) الرضف : الحجارة المحماة
(٢) وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه
(٣) فقال : حسن صحيح غريب

* قال صلى الله عليه وسلم: ليس المسكين الذي تَرُدُّه اللُّقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذي لا يجد غِنًى يُغنيه ، ولا يُفطَن به فيُتصدق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس * الستة الا الترمذي

* قال صلى الله عليه وسلم: لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس بوجهه مُزْعة لحم * الشيخان والنسائي



﴿ المؤمنُ القويّ ، والمؤمن الضعيف ﴾

قال صلى الله عليه وسلم : المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ الى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كلٍّ خير . احرِصْ على ماينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز . وان أصابك شيء فلا تقُل : لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدَرُ الله ، وما شاء فعل . فانّ « لوْ » تفتَح عمل الشيطان * مسلم

الحكومة

تُبنى على الحكمة

الحكومة

تُبنى على الحكمة

قال الحسن البصري :

استقبل الحسنَ بن عليٍّ معاويةُ بكتائبَ أمثال الجبال . فقال عمرو بن العاص لمعاوية :

— إني والله لأرى كتائب لاتولّي حتى تقتُل أقرانَها

فقال له معاوية (وكان والله خيرَ الرجلين) :

أي عمرو أرأيت ان قتل هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء ، من لي بامور المسلمين ؟ من لي بنسائهم ؟ من لي بضيعتهم ؟

فبعث اليه رجلين من قريش من بني عبد شمس — عبد الرحمن بن سَمُرة وعبد الله بن عامر — فقال : اذهبا الى هذا الرجل واعرضا عليه ، وقولا له ، واطلبا اليه

فأتياه فدخلا عليه فتكلّما ، وقالا له ، وطلبا اليه .

فقال لهم الحسنُ رضى الله عنه :

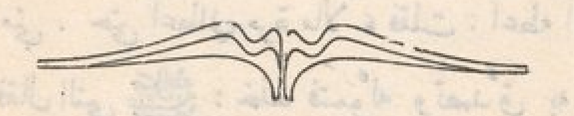
ـ إنَّا بني عبد المطلب قد أصبْنا من هذا المال ، وان هذه الامةَ قد عاثَت في دمائها

قالا : فانه يعرض عليكِ كذا وكذا ، ويطلب اليك ويسألك

قال : فمن لي بهذا ؟

قالا : نحن لك به

فما سألهما شيئاً الا قالا : نحن لك به . فصالحه



عمر بن الخطاب

وعاملٌ من رجال حكومته

قال عبد الله بن عمرو السعدي : قدِمتُ على عمر رضي الله عنه في خلافته ، فقال لي : ألم أُحدَّث أنك تلي من أعمال المسلمين أعمالاً فاذا أُعطيت العُمالة كرهتها (١)؟ فقلت : بلى . فقال عمر : ما تريد الى ذلك ؟ قلت : ان لي أفراساً وأعبُداً ، وأنا بخير ، وأريد أن تكون عُمالتي صدقة على المسلمين . فقال عمر : فلا تفعل . فاني كنت أردتُ الذي أردتَ وكان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول : اعطه أفقر اليه مني . حتى أعطاني مرة مالاً ، فقلت : أعطه أفقر اليه مني . فقال النبي ﷺ : خذه فتموَّله وتصدَّق به ، فما جاءك من هذا المال من غير مسألة ولا إشْراف (٢) فخذه ، وما لاَ فلا تُتْبِعه نفسك * الخمسة الا الترمذي

---

(١) العمالة : راتب الموظف (٢) أي من غير طلب له أو طمع فيه

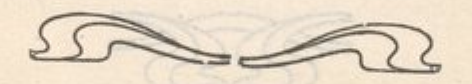
الكناري السجين

الكنارى السجين

يا سِحْرَ فَنِّي غَرِّدْ وغَنِّ
لا تَشْكُ مِنِّي أنتَ الاميرْ !
أهواكَ قُرْبي بِراًّ بِحُبِّي
نَجْواكَ قلبي حَظٌّ كبيرْ !
ما أنتَ إلاَّ وَحْيٌ تَجَلَّى
طَيراً وخَلَّى شِعْري الأسيرْ !
لا تَشْكُ حَبْسَا لا تَشْكُ بأسا
فالشمسُ أقْسَى والزمهريرْ !
عِشْ عَيْشَ ناسِكْ مِثْلي وشارِكْ
حالي كحالِكْ حالُ الفقيرْ !

صِفْ يا كَناري[1] نورَ الدراري
دُمْ صفوَ داري عِشْ بي القَريرْ !
صِفْ عيشَ غابِ عذْبَ الشَّرابِ
تحتَ السَّحابِ فوقَ الغديرْ !
واسمعْ نظيمي سَمْعَ العليم
تَشْهَدْ نديمي رُؤيا الخبيرْ !
إنّي أُضحّي فاذكرْ وأوْحِ
لا تلقِ نُصحي مثلَ الغريرْ !

ابو شادي



رأي كپلينغ في البشر

كان الشاعر الانكليزى كپلينغ سامراً ذات ليلة في جماعة ، فتذاكروا المخلوقات الارضية وأي نوع من الحيوان يصلح أن يخلف البشر فيما لو اجتاحت البشرَ كلهم مصيبة من المصائب . فوجه الحاضرون هذا السؤال الى الشاعر وقالوا له :

ـ أى صنوف الحيوان ترى أنه يصلح ليخلف البشر . هل هو الفيل مثلا ؟

فأجابهم : — أستبعد ذلك ، لان للفيل أخلاقا شريفة لاتؤهله لهذه المكانة



الفلسفة والعلم والدين

الفلسفة والعلم والدين

الفلسفة عبارة عن نظريات محدودة تفسر بها ظواهر الكون . وهي مذاهب مختلفة تتجلى فيها شخصية أصحابها ، وماكانت قطُّ علما خاصا له موضوع وغاية ، بل هي في الحقيقة مذاهب تقوم في كثير من نواحيها على الاستنتاج ، كما تقوم على الظن الشخصي تارة ، والرغبة والميل تارة أخرى . فنظرياتها ليست وليدة الاستنتاج دائما ، ولا ناشئة عن التفكير المنطق غالباً ، بل كثيراً ما تكون ناتجة عن الميل الشخصى أو حب المتابعة والتقليد لفيلسوف سابق . فالمذهب الجديد يضم بين جوانحه قضايا مسلّمة كثيرة ، بعضها مأخوذ بالحرف من مذهب سابق ، وبعضها قائم على

الهوى والميل الشخصى . ومن أجل ذلك كثرت المذاهب الفلسفية وتعددت وناقض بعضها بعضاً . ذلك بأنها غير قائمة على قواعد متفق عليها ، ولا على بدائه معترف بها ، بل قائمة على التقليد تارة وعلى الهوى والميل تارة أخرى . ومن هنا كانت المذاهب الفلسفية ضعيفة الاثر فى هداية الناس الى سعادتهم الدنيوية فضلا عن السعادة الدينية

***

أما العلم فهو ينقسم قسمين : قسم عملى أنتج الماكينات والآلات والاجهزة ، وهذا بالطبيعة قد أنتج تقدما دنيويا ، وساعد على رقى الحضارة . والقسم الثاني هو الفروض التى فرضها العلماء وسموها نظريات العلم ، وهذه قابلة للتغير والتبدل ، وما وضع منها من

مدة قرن لا يبقى منه في القرن التالي الا نظرية أو نظريتان ، والباقي له قيمة محدودة بالزمان

لا يمضى على الفروض العلمية جيل او جيلان حتى تأخذ العقول في وزنها والبحث عن قيمتها والفحص عن نصيبها من الصحة ومطابقة الواقع. وينتج من هذا الوزن والبحث أساليب حديثة تكتسح طرق التفكير العتيقة فينتابها التغير وتخضع لمبادىء مستحدثة فكل قرن له أساليبه وفروضه ، وكل قرن يأتي بتبديل وتغيير في أساليب البحث وفروض العلم ، والجاهل الغبي يظن أن فروض العلم ثابتة لا تتغير ، مع أن نظريات القرن السابع عشر قد أتت عليها نظريات القرن الثامن عشر ، وفروض القرن الثامن عشر قد محتها فروض القرن التاسع عشر

ذلك شأن العلم في سيره وتلك سننه في حياته ، لا يبقى منه سوى ماصلح للعمل ، وأصبح ملك المعامل والمصانع ، أما ما في الكتب فهو عرضة للتغير والتبدل لان حركة العقل في تقدم ، والفروض ما وجدت إلا لتفنى وقد كتبت على أنها فروض لا على أنها حقائق . فمن الجهل والظلم للعلم أن يظن أن فروضه ونظرياته حقائق ثابتة لاتقبل النقض

من هنا يتبين لك أن الحقائق العلمية شيء والنظريات العلمية شيء آخر

وهنا يأتي سؤال : هل بين العلم والدين تناقض؟ وهل بين الدين والفلسفة تنازع ؟ وهل يمكن أن يتآخى العلم مع الدين ؟

قبل الاجابة على هذه الاسئلة ينبغي أن يحدد

معنى العلم تحديداً تاماً. فان ارادوا من العلم المعنى الواقعى الحسى الذي أنتج الحضارة فليس بينه وبين الدين تناقض ألبتة، لانه عبارة عن تطبيقات تعمل فى المعامل، وهذه الامور لها دخل فى اصلاح البشرية وتهذيب الحضارة، وهى بهذا الاعتبار غرض من أغراض الشارع يأمر به ويحث عليه؛ فهى من مطالبه وداخلة في فروض الكفايات فلها نصيب وافر من أوامره وتعاليمه

أما ان أريد بالعلم تلك الفروض التي يفرضها العلماء — وهي قابلة للتغير والتبدل — فالامر يحتاج الى تفصيل: فتارة تكون تلك الفروض قريبة من المعنى العلمي أي بينها وبين المحسوسات درجة واحدة من الاستنتاج، وهذه لقربها من المحسوسات لا تصادم

الدين لانها تبحث فيما يقرب من عمل المعامل ، وغايتها
ضبط الصور المتعددة ووضعها تحت نظام كلى بقدر
الامكان . وتارة تكون باحثة في أصل الكائنات أو
أصل الانواع كفروض دارون ، وهى فى الواقع
ليست حقائق علمية بل هي مذهب فلسفى لايجوز أن
يطلق عليه اسم العلم ، وان ادعي فيه ذلك ، لان موادّ
الدليل غير موجودة ، بل هو قائم في الحقيقة على قياس
التمثيل وهو لا يفيد الا ظنا ضعيفا ، خصوصا ان كان
قياس الغائب على الشاهد . وهذا النوع ان وجد فيه
ما يصادم الدين أو يناقضه فلا يضر الدين في شيء ،
لانه ليس من العلم القائم على الحس والمشاهدة ، اى
ليس من العلم الواقعى ، بل هو محض فرض تتخيل
له علاقات منتزعة

أما الفلسفة فلا تضر مخالفتها للدين لان مذاهبها متباينة متخاذلة، فاذا لم يتفق فيها على مذهب صحيح كانت المذاهب كلها عرضة للخطأ، واذا كانت عرضة للخطأ لم تكن حسية واقعية فهي تحمل في كيانها عوامل انخذالها ودحضها هذا هو الحق، وماذا بعد الحق الا الضلال ؟

عبد الباقي سرور نعيم



﴿ من قوى الاسلام الكامنة ﴾

قال الدكتور (انسباتو) الايطالي في كتاب (الاسلام وسياسة الحلفاء) الذي نشره سنة ١٩١٩ :

« ان الكرم العلمي ، والصدقة الفكرية ، صفتان من صفات الاسلام شأنهما أن تجعلا الأمة العاملة بهذا الدين أهلاً لان تبلغ من الحضارة ذروتها العليا »

شقوة العلم ونعمة الخيال

شقوة العلم ونعمة الخيال

نظر المشيبُ اليكَ قبلَ أوانِ
فرزحتَ تحتَ غوائل الاشجانِ
ودَّعتَ يومك فاستطار بك الاسى
جزعاً تعضُّ عليه كلَّ بنانِ
ونفضتَ ثوبك منه أشعثَ مُحنقاً
نفضَ العُقاب الطلَّ فوق رعانِ
كم نظرةٍ لك إن عبست كأنها
قبسٌ تهافتَ عن شباةِ سنانِ
فاهزأ بدهرك مُقبلاً أو مُدبراً
إن ضاق ذرعُ سواك بالحرمان

***

وَيحَ الطبيعةَ كيف تمزج بِرُّها
بالَّلؤم تَسخر منـك كالمُجّانِ
تتلقف الفضلاتِ ثم تدسها
لك في الطعـام شهيَّةَ الالوان
من كل فاكهة وناعم نَبتة
هي في الرَّغام وليـدة الادْران
تتحوَّل الاوضارُ تحتَ صعيدها
صُوَراً من الثَّمرات في الافنان
ومن الجنان قَشيبةٌ أبرادُها
ومن الربيع مضمَّخُ الاردان
ولو استَذبَّ لك اكتناهُ خفيَّها
لعجبتَ كيف تُسام كلَّ هوان

***

تركتك أعزلَ بين مستجر الأذى
فتخطفتك طوارق الحدَثانِ

ورمتك بالخَلَق المشمّر خلسةً
من كلّ مُطْلَع وكل مـكانِ
متدفق وقد استمر محجَّباً
يستلّ منـك صلامة الابدانِ
ترد الميـاه ، وكلُّ سائل قطرة
سـيلٌ من الحشرات والحيوان
خفيتْ عليك وروّهت عنك الجوى
فنأيتَ عن حتفٍ لحتف دانِ

***

إن ضلانك وأوبقتك فأنها
طُبعت على التمويه والعـدوانِ
ولشدَّ ما اختلفت عليك وأصبحت
لك قدوة في الختـل والروَغانِ
فركبت رأسك تستفزّك نزوةٌ
خبطتْ بك الظلمات غير مُعانِ

وحملتَ أعباء السنين تجشُّما

من أجل بعض اللهو بضعَ ثوانِ

أجرٌ - لعمر أبيك - أبخس مارأت

عينان ، أو سمعت به أذنان

***

فسلِ الحياة الى مَ يصرع بعضها

بعضاً ؟ فمجنيٌّ عليه وجان

هي بين مأكول وآخرَ آكلٍ

متطاحنين : فناشيء من فانِ

***

لله كم للجهل عندك من يدٍ

أزرت بكلِّ يد من العرفان

عبرت بك الأوهام تأنس عندها

بردَ اليقين ونعمة الرضوان

فالشهبُ تسبحُ والنجوم مطلّة
سهراً عليك وحولك القمران
مخلوقة لك دون غيرك ـ كلها
صورٌ اليك ـ وأنت ذو السلطان
تلك السعادة في الحياة وإن تكن
عبثَ الوليد وضحكةَ الازمان
وقد انتفضتَ من الخمول فلم تذق
في العلم غيرَ مرارة الخذْلان
فرأيتَ عالمكَ المشيَّد ذرّةً
خللَ المجرّة في سديم دُخان
ونكصتَ أخسأ ما نكصتَ مزلزلاً
من روعة الملكوت في الاكوان
سُدُمٌ تهيم ولا فضاء يحدُّها
ترتجُّ بين تصدُّعٍ وكيان

تلِدُ العوالمَ والشموسَ تضجُّراً
عـدد الرمال تضجُّرَ البركان
مَن أنتَ في الدنيا ، ومن هي نفسُها
فتقول «نحن» ، ومن هما الثقلان ؟

***

أطرقتَ منخلعَ الفؤاد بمعزل
واليأس حولكَ ضاربٌ بجِران
وغبرتَ تهلع من مصيرك في غدٍ
أن يستبدَّ به الزوالُ الثانى
تنقضُّ منتثر الهبـاء ممزَّقاً
بين العناصر طامِسَ العنوان
حمـلَ الغُواة عليك في نزعاتهم
فضلات بين الحس والوجـدان
إنى كفرتُ بمـا يقول غويُّهم
ورضيت بالتوحيد والايمـان

ومن الخلود على الخلود أدلّة
للنفس تنسخ زُخرُفَ البهتان
والارض دائرة فهل أبصرتها
كرةً ، وهل أحسست بالدوران
الحسُّ يكذب ، والعقول كليلة ،
والروح أطهر ، والوجود معاني

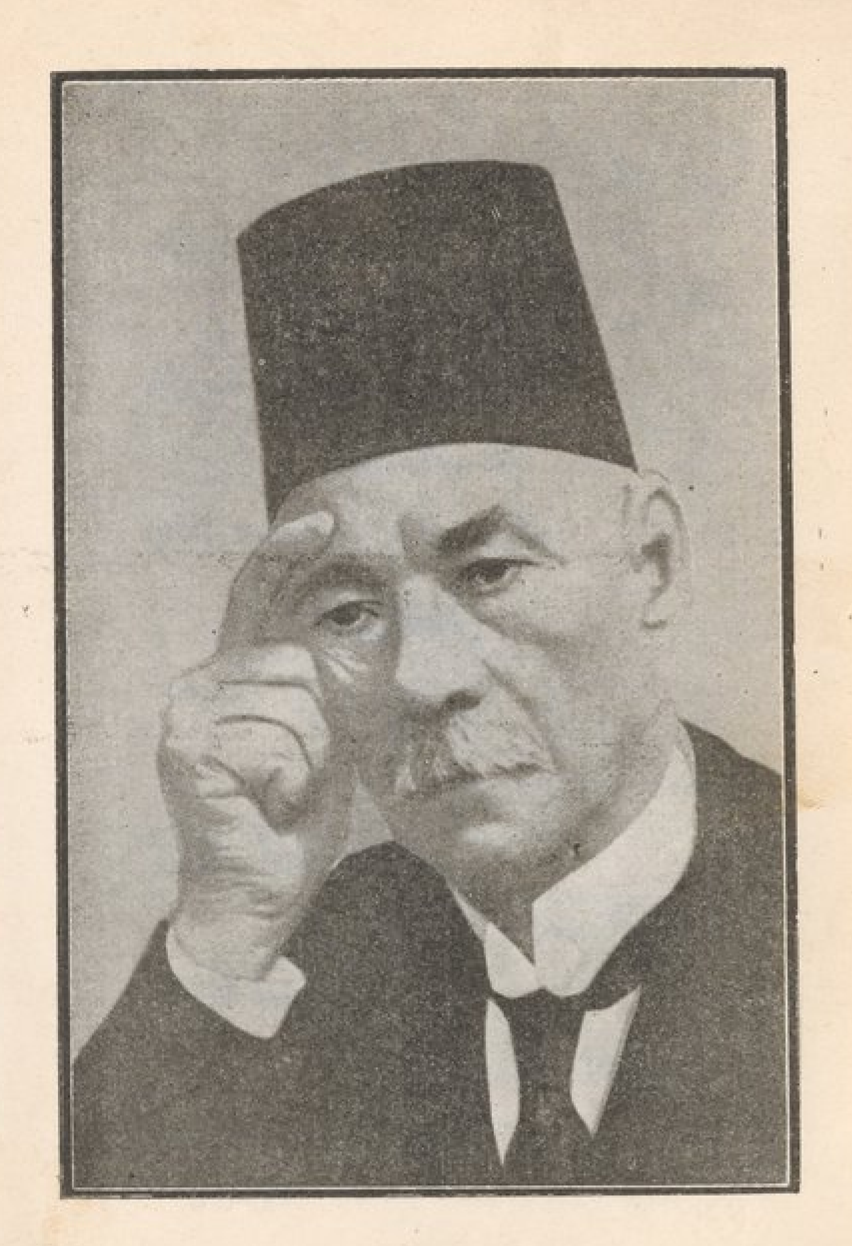
فؤاد الخطيب

محمد صلى الله عليه وسلم

رحمةٌ كله وحزم وعزم
ووقارٌ وعِصمةٌ وضياءُ
لا تحلُّ البأساء منه عُرى الصـ
بر ولا تستخفّه السرّاء
كرُمتْ نفسه ، فما يخطر السو
ءُ على قلبه ، ولا الفحشاء

الابوصيري

سعد



سعد

مات الرجل الذي كان مخلوقاً لاحلام السياسة المصرية حتى كأنه كتاب يُقرأ فيه التاريخ الذي لم يخلق بعد ، وكأنه رُسم بيد الله على طريقة المصوِّرات الجغرافية في قياس وتدقيق ، لترى فيه مصرُ الحاضرة أين تذهب بها خطوط الغيب ، والى أي النواحي يدفعها القدَر

مات الرجل الذي كان يفرح الناس به فرح أهل المشكلة أعضلت حتى استيأسوا منها ، وتناولت كل قلب بعقدة هم ، ومدّت على كل وجه خيطاً من كآبة ، ثم يصيبون قدرةَ الله في رجل عظيم مرسل منه سبحانه لقدْرِه في الحادثة العظيمة ، فاذا الرجل أسمى منهم ومن نفسه ، لانه أملٌ وتيسير ، ولانهم في حاجة وشدة

مات سعد ، فيارحمة الله لسعد !

أكانت مصر في حلم من أحلامها انفرج فيه ستار الغيب فاذا سعد قد اطلع عليها واذا هي قد ظفرت مما فوق المادة برجل في إحدى يديه السحر وفي الاخرى المعجزة . ثم انسحب الحلم ، فاذا للرجل مواقف يندمج عندها في قوة الكون ، فلا نزال يمضي في الحوادث ويعزم حتى نقول انه رجل من أقدار ، ويضيء للسياسة ويظلم حتى نقول انه رجل من ليل ونهار . ثم تنفس الحلم فاذا البطل جبار من هذه الاعاصير، واذا هو يطير فيكاد كل مايلمسه على الارض يطير . ثم يتضرم الحلم فاذا عبقري كالجمرة الملتهبة لا يقال انه يعيش بل يحترق ، ولا يجتمع فيه النور إلا ليتبدد ويفترق. ثم يتندّى الحلم فاذا رجل من الرقة كالروض فأنت منه في نسائم عطوره ، واذا كتاب من الفكاهة لو ترجم الى الطبيعة لكانت

الازاهر من سطوره . ثم تهافت الحلم ، فاذا ماجاء من النور قد غاب في النور ، ثم اضمحل وتلاشى ، فاذا الغطاء على هذه الدنيا كلها قبر من القبور !

يارحمة الله لسعد ! كان رجلا مانظر اليه انسان إلا بعين فيها دلائل أحلامها كأنه شخص فكرة لاشخص إنسان ، فاذا رأيته كان في فكرك قبل أن يكون في نظرك ، فأنت تشهده بنظرين : أحدهما هـذا الذي تبصر به ، والآخر ذاك الذي تؤمن به

رجل كأنما كان يمسك في جسمه زلزلة فهو أبداً يرتج ، وهو أبداً يرجّ ماحوله ، فلما مات انطلقت فتركت الامة على هزّة عنيفة تشعر كأن معاني الحياة يرجع أعلاها على أسفلها ، أو يوشك أن يرجع

كان قوة عامة لا بد من فعلها في كل حي تحت هـذا الافق حتى كأن معاني نفسه تنتشر في الهواء أو كأنه محط لبرقيات إلهية يخاطب بها قدَرٌ قدَرا ، وتدعو منها حادثة حادثة . قوة مرسلة لا تُمسك ، ماضية لا تُردّ ، مقدورة لا يحتال لها بحيلة . فلا يقال في مثله ان له محاسن وعيوباً بل محاسنه هي محاسنه من أنه قوة لا بد له من ضعف الانسان لانه خلق إنساني ، وتكاد معايب الرجل العظيم تكون ظلال حسناته ، فهي منها ولن تكون إلا بها

فاذا كان لسعد هنات فليست من خطأه ولكنها طبيعة من ناموس النور الذي كان فيه

يارحمة الله لسعد ! انما كان رجل الشعب ، فكان كل مصري يحس أنه يملك فيه ملكا ، فيشعر من ذلك أن له كبرياء وعظمة وطنية

كان الذات المتسعة التي لا يعرف لها معاصروه حدوداً لأنها ذات التاريخ المنشعبة من الماضي ، والمستوعبة للحاضر ، والمترامية الى المستقبل ، وفيها ذكرى المجد الوطني والعمل له والامل فيه

وكان من قومه في إكبارهم واعظامهم كأنه وإياهم رجل خلقَ وصُنعوا ، أو رجل صُنع وخُلقوا : لابد من أن يباينهم حتى في وجوه الشبه بينهم وبينه

وبذلك بلغ مالم يتناه اليه الامل ، وكانت قاعدة تمثاله الشخصي قلوب أمة كاملة

يارحمة الله لسعد ، إذ يجود بنفسه وتزمزم شفتاه « أنا انتهيت ، أنا انتهيت ! »

أقسم ماتكلم سعد بأبلغ ولا أبدع ولا أدقّ من هذه الكلمة ! على اقراري أنه خطيب الشرق ولسان العربية

انتهى منـه ما يسمى « أنا » ، ليبتدىء فيه ما يسمى « هو »

انتهى الذي آخر حدوده الذات الفانية ،ليبتديء الذي أول حدوده الفكرة الخالدة

انتهى ما كان ابتـدأ في التاريخ ، ليعمل بالتاريخ فيما لا ينتهي

انها بلاغة خرجت فيها روح عظيمة ،فهي منطوية على سر دقيق حتى كأنها جملة وقعت من السماء ، فعليها روعة الوحي وفيها دقائق الاعجاز ،أو هو اقتبسها من لغة الخلود ليرسلها لأمته في آخر حركة من حركات لسانه

يقول : أنا انتهيتُ ، أما أنتِ يا أمتي العزيزة فباقية فاعملي ولا تيأسي

أنا انتهيت ، أما أنت يا أمتي العظيمة ففكري كل

يوم أن تبدئي في الحياة بدءاً جديدا

أنا انتهيت ، أقولها يا أمتي ، لتعلمي أن وصايتي الاخيرة اليـك ألا تقولي أبداً « أنا انتهيت » لان هـذه كلمة الموت

يارحمة الله لسعد ! وسلام الأمة في سلام الله عليه

مصطفى صادق الرافعى



عائشة على قبر أخيها

رضي الله عنهما

قال عبد الله بن أبي مليكة : لما توفي عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما بالحُبشي – وهو موضع قرب مكة – حُمل الى مكة فدفن بها . فلما قدمت عائشة رضي الله عنها أتت قبره وجعلت تقول :

وكنا كندَمانَي جَذيمة حِقْبةً
من الدهر حتى قيل لن يتصدَّعا
وعشنا بخير في الحياة ، وقبلنا
أصاب المنايا رَهْطَ كسرى وتُبَّعا
فلما تفرَّقنا كأني ومالكا
لطول افتراق لم نبتْ ليلة معا

ثم قالت : والله لو حضرتُكَ ما دُفنتَ الا حيث متّ ولو شهدتُكَ ما زُرتك • الترمذي

الانظمة الاسلامية

يؤيدُ بعضها بعضا

الانظمة الاسلامية

يُؤيد بعضها بعضا

كان النظام الاسلامي – يوم كان قائما ومعمولا به – يحمي بعضه بعضا : فالتكاليف الخاصة باقامة حكومة عادلة ، وبالأخوّة الاسلامية ، وبالتواصي بالحق والصبر ، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبحماية الدعوة الاسلامية ، وصيانة الشريعة من العبث بها ، ورد عادية المعتدين عليها ؛ كان من شأنها أن تحمي التكاليف الفردية ، وهي العقائد والعبادات. فكل اعتداء يقع على العقائد أو يصيب العبادات كان يُدفع عنهما بما سنه الاسلام من أنظمة حماية الشريعة وصيانة الملة

في الاسلام تكاليف موجهة الى الأفراد ، وتكاليف

موجهة الى الامة . ومجموع التكاليف هو النظام الاسلامي . فالعقائد والصلاة والصيام تكاليف موجهة الى الافراد ، وحماية الشريعة وصيانتها تكاليف موجهة الى الامة

كانت الامة الاسلامية عزيزة الجانب يوم كانت قائمة بالتكاليف التي وجهت اليها : من اعداد العدّة ، وأخذ الحذر واليقظة ، ومن فهم سياسة العدوّ ، ومن اقامة الجهاد ، ومن نشر الدعوة الاسلامية ، ومن جعل أمرهم بينهم شورى ، ومن اقامة حكومة عادلة تسوس أمرهم وتحمي شريعتهم ، ومن جعل العلائق بين المؤمنين قائمة على الولاء والمودة ومبنية على المناصرة والمؤازرة ، ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واقامة العدل ، وتقرير المساواة

كانت هذه التكاليف مطلوبة من الامة لتكون أمة قوية عزيزة ذات حكومة شورية عادلة . وكان مما طولبت به الحكومة - التي هي نائبة عن الامة في القيام به - حماية

الشريعة وصيانة الملة من هجوم الهاجمين واعتداء المعتدين. وكانت التكاليف الفردية - أي العقائد والعبادات - في حرز منيع، لأن الامة ساهرة، والحكومة حامية، والنظام الاسلامي يؤيد بعضه بعضا ويدفع بعضه عن بعض

مرّ على المسلمين زمن أهملوا فيه العناية بالتكاليف الموجهة الى الامة فضعف هذا الجانب وأخذت الامة تنحدر كلما أهملت فرضا من فروض الكفاية الموجهة للمجموع ووصل الانحدار غايته حينما قام بفكر المسلمين أن المسلم متى قام بالتكاليف الفردية - فآمن بالعقائد، وأدّى العبادات - فقد فرغ من التكاليف، وأصبح من عباد الله الصالحين، وان كان قد أغفل جميع التكاليف التى خوطب المجموع بها

ساد هذا الاعتقاد في القرون الاخيرة، فضعف أمر الجهاد أو زال، وضعف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر، وضعفت العناية بالشورى، وضعفت حماية الشريعة،

وذهبت العناية بصيانة الملة ، وفقد الاهتمام بفروض الكفاية ، فضعف شأن المسلمين ، وذهب من بينهم الولاء والتناصر ، وذهبت بذهاب هذا كله وحدتهم : فلم يعودوا أمة كما كانوا في الصدر الاول ، بل صاروا أفرادا متخاذلين وشيعا متفرقين . فجاءهم العدو ، فوجد قوة فانية ، وضعفا قاتلا ، وأفراداً لاتعرف معنى التناصر . فاحتل ديارهم ، واستعمر بلادهم ، وشرعت أنظمته تحتل الانظمة الاسلامية . فحينما ظهر الملحدون ونعق ناعقوهم وشرعوا يهاجمون التكاليف الفردية وتناولوا العقائد بالجرح والتشهير واستهزءوا بالعبادات ، أخذ المسلمون يتلفتون وراءهم كيما يجدوا نظاما يحمي عقائدهم وعباداتهم ، فلم يجدوا شيئا ...

لم يجدوا النظام الذي يقرر حماية الملة وصيانة الشريعة لأن النظام الاوروبي قد احتل مكانه ، وهو لا يريد حماية العقيدة الاسلامية ، وليس موضوعا لذلك ، وليس في طبيعته

مايدعوه الى حماية نظام اسلامي ، وليس بينه وبين العقائد الاسلامية رحم وقربى

فرّط المسلمون يوم أهملوا العناية بالتكاليف الموجهة الى الامة ، ويوم سمحوا بضياع التكاليف التى تجعل منهم أمة عزيزة غيورة على دينها وملتها

لم تكتف الانظمة الغربية باحتلال الامكنة التى كانت تشغلها الانظمة الاسلامية ، بل فكّرت وسعت في مطاردة التعليم الدينى من المدارس المدنية ، وعملت على أن يخرج التلميذ المسلم من المدرسة وهو يجهل العقائد والعبادات الاسلامية ، وبذلك تكون قد حاربت التكاليف الفردية أيضاً كما حاربت التكاليف الاجتماعية والسياسية والتشريعية ، فيتم الغزو الاوروبي للاسلام في جميع مظاهره . فاذا لم يتنبه المسلمون ويجتمع المفكرون منهم للنظر في تلك الحالة ووضع علاج لها ، واذا لم يعملوا على احياء التكاليف الاجتماعية من

النظام الاسلامي في الوطن الاسلامي الذي لا يزال محتفظاً باستقلاله ، فانه يخشى على البقية الباقية أن تزول !

ان الخطر شديد ، وان العدو قد طرق جميع الابواب .

انه يعمل بيقظة وانتباه ، والمسلمون نائمون متفرّقون ، وأخشى أن يصدق عليهم قول الله عزَّ وجلَّ « ذَرْهم يَخوضُوا ويَلعبوا ، حتى يُلاقوا يومَهم الذي يُوعدون »

نسأل الله أن يوفق رجالات العالم الاسلامي لانقاذه من هذا الخطر ، انه على مايشاء قدير

عبد الباقي سرور نعيم



الكذب

* قال صفوان بن سليم: قلنا يارسول الله ، أيكون المؤمن جباناً ؟ قال : نعم . قلنا : أفيكون بخيلاً ؟ قال : نعم . قلنا : أفيكون كذاباً ؟ قال : لا * مالك

* قال صلى الله عليه وسلم : ويل للذي يحدّث بالحديث ليضحكَ منه القومُ فيكذب . ويلٌ له ، ويل له * أبو داود والترمذي

* قال عبد الله بن عامر : دعتني أمي يوماً ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا، فقالت : ها تعالَ اعطيك . فقال لها صلى الله عليه وسلم : ماأردتِ أن تعطيه ؟ قالت : أردتُ أن أعطيه تمراً . فقال لها : اما انك لو لم تعطيه شيئاً كُتبت عليك كذبة * أبو داود

* قال صلى الله عليه وسلم : ليس بالكذّاب الذي يُصلحُ بين اثنين ، فيقول خيراً أو ينْمي خيراً * الخمسة الا النسائي

حملة التجديد والاصلاح

وهل لها قادَةٌ حُكماء ؟

وهل رسموا لها الخطط الحكيمة ؟

حملة التجديد والاصلاح

وهل لها قادةٌ حكماء ؟

وهل رسموا لها الخطط الحكيمة ؟

لقد بدأ هذا الشرقُ الاسلاميُّ يشعرُ بما هو فيه من ذُلّ ، فقام يَنشدُ عزًّا . وقد لمسَ بحواسه الخمس عواقبَ السوء التي جرَّه اليها الجمود والخمول ، فهبَّ يبحث عن مَخرَج الى ساحة النشاط والعمل . فشبابُ الشرق – في كل قطر من أقطاره – هم اليوم في حالة غَلَيان ، وأضحى من المقطوع به عندهم – وعندي معهم – أنّ من الواجب أنْ نتسلَّح بأسلحة أخرى غير تلك التي أشعرتنا بالذلّ ، وأن نتخذ في حياتنا المستقبلة أساليبَ في الحياة غير التي صارت بنا الى هذا الخمول

هذا الشعور دليلُ حياة ، فيجب على العقلاء تشجيعه ·

وهذا التيار منحدرٌ في طريقه بدافع من طلب الخير ، وهو في حاجة الى قيادة حكيمة تدله على طريق الخير ، وتقنعه بأنه هو طريق الخير ، وتبرهن له على أنه يؤدّي بهذا الشرق الى مايَنشده من عزّ ، ويبتعد به عن عواقب السوء التى جرّه اليها الجمود

هذه حقائق ملموسة يجب الاعتراف بها بكل شجاعة ، ومن العبث وضياع الوقت سدًى أن يُمارِي فيها عاقل ، أو أن يَتمارَى فيها الصاحي مع آخر يتكلم وهو نائم

ان شعوبَ الارضِ تتبارَى اليومَ في حَلْبَةِ التاريخ ليفوز كلٌّ منها بخُطوة جديدة الى الأمام ؛ فى سبيل العزّة والسيادة

وكل شعَب من شعوب الارض يعمل — أفراداً وجماعاتٍ — ليزيدَ فى قوّته وثروته ، ويسعى لذلك فى

داخل حدوده وفي بلاد الناس

ومما صار يستحي الناس من المجادلة فيه أن العزة والسيادة — سواء كانتا فى بداياتهما ، أو في السنام الاعظم من رِفعتهما — لايتحققان الا باكتساب مَعارفَ واسعة النطاق ، كثيرة الفروع ، دقيقة الوضع : في كلّ معنًى من معانى الحياة ، وفي كلّ ضَربٍ من ضُروب العمل ، وفي كل وسيلة من وسائل القوّة ، وفي كل غاية من غاياتها

بل ان الشعبَ الذى يُلمُّ أفرادُه وجماعاته بهذه المعارف التى وصل اليها البشر في كل باب من أبوابها ، لايأمن على نفسه الوقوعَ في شبَكة التأخر ، ولا يدفع عن نفسه خطرَ الرضوخ للذلّ ، اذا لم يكن مُراقباً لكلّ ماتبتكره العقول من جديد فى أدنى الارض أو أقصاها

كانت مَصادرُ القوّة فيما مضى حوانيتَ صغيرة يَصنع فيها أربابها من بقايا الحديد سيوفاً ، وحَلْبةً فى ظاهر كل مدينة

يلعب فيها عشرات من الناس بالجريد ، وأماكن يختلف اليها الشباب للمباراة فى الرمي بالسهام . وأما اليوم فلابد — للشعب الذى يريد أن يتجرد من ثوب الذلّ — أن يكون له من أبنائه مَن يحسن صنع المدفع . والمدفع لا يُصنع الا بعلوم واسعة ودقيقة ألفت فيها الكتب ، واذا عرف صانعو المدفع هذه العلوم فلا بد لهم من مادة الفولاذ التى لا يمكن الحصول عليها الا بعلوم واسعة ودقيقة ، واذا عرف صانعو الفولاذ هذه العلوم الواسعة الدقيقة فلا سبيل الى استعمال علومهم الاّ فى شعب واسع الثروة جيد الاخلاق يحسن ادارة أعماله الشخصية والصناعية والتجارية والادبية والحكومية ، وكلُّ هذا لا يكون فى هذا الشرق الاسلامي الا بالتجديد القائم على تعليم الشعب وأبناء الشعب علوم الادارة والتنظيم ، وعلوم الاقتصاد وتثمير الاموال واستثمارها ، وعلوم القوّة والعزّة التى تقي الامة والوطن من أن يكونا تحت تصرّف ارادة

أمة أخرى ووطن آخر

ان العزّة والسيادة لا سبيل لها ـ في الظروف التي تحيط بنا ـ غير هذا السبيل . وان ضرورة الحياة مُلجئة ـ لكل شعب يريد أن لا يكون ذليلاً ، وأن لا يجعل حق التصرف في ارادته وعقيدته وكيانه في يد غيره ـ الى أن يباشر في الحال توزيع العمل بين أفراده وجماعاته : فينصرف كل فريق منهم الى نوع من أنواع المعرفة ، فيقف على أقصى ماوقف عليه البشر بمعناه ، ثم يسهر بمراقبة كلّ مايحدث فيه من جديد ، ليسدّ من جهته ثَغرة ـ صغيرةً أو كبيرة ـ في جدران قلعتنا التي أخذت تتهدّم منذ سبعمائة سنة ، وقد سقط كثير من أركانها ويوشك أن يسقط الباقي أن لم نبادر في الحال الى سلوك هذا السبيل

ليس التجديد والاصلاح شهوةً من الشهوات ، بل هو ضرورةٌ في مقدمة كل الضرورات ، للاحتفاظ بالدَماء الاخير

من الحياة ، ووقاية ما فى القلعـة من هيكل العظَمة عن أن يَنهار فلا يُرجى أن تقوم لنا بعده قائمة

لقد استبدلنا بصناعة الطباعة صناعة النَّسْخ

وكنا اذا أردنا ركوب البحر لتجارتنا أو لاداء فريضة الحج نجتازُ اجَجه بالمراكب الشراعية . فتحوَّلنا عنها الى البواخر

وجرَّدتْ حكوماتنا الاسلامية جنودَها من القسيِّ والمنجنيق . وجهَّزتهم بالبنادق السريعة الطلقات وبالقنابل اليدوية وبالمدافع الضخمة العجيبة

وكان أجدادي يؤلِّفون على نور السراج الذي تُنارُ ذُبالته الدقيقة بزيت الزيتون . وأنا استغنيتُ عنه برضى مني واختيار وبسرور وارتياح ، لأتمتّع اذا قرأتُ أو كتبتُ بنور الكهرباء الذي يجعل الليل أسطع نوراً من النهار

وأكتبُ هـذا الفصل وأمامي رسالة من صديق فى

بغداد اريد أن اكتب جوابها ، وسأرسل الجواب بالطيارة ايكون بعد غد في يد صديقي وكان لايصله الا بعد شهر

هذا كله تجديد ، وكله حسن ، بل واجب . لكنه ينطوي على دخائلَ أشعر بالذل كلما تذكّرتها ، ومن التجديد والاصلاح أن لا أخادع نفسي وقومي بكتمانها

لأجل أن يكون التجديد في الطباعة صادقاً ، ولأجل أن أشعر فيه بالعزّة والسيادة ، يجب أن تكون الطابعة ، وأجزاؤها ، ومادتها ، والورق الذي يطبع فيها مصنوعاً ذلك كله في وطني وبايدي بني قومي . فيبقى ثمن ذلك وأجور عامليه في داخل الوطن ، فيقوى به على التوسع في وسائل القوة والعز

ولأجل أن يكون التجديد في ركوبي البحر تجديداً صادقاً ، ولاجل أن أشعر فيه بالعزة والسيادة يجب أن تكون حاملة راية أمتي وان تكون مصنوعة بكل أجزائها في وطني

ولأجل أن يكون تجديد حكوماتنا الاسلامية لسلاح جندها تجديداً صادقاً يجب ان لا تفتقر الى الاغيار في الحصول على البندقية وعلى القنبلة اليدوية وعلي المدفع . بل تبدأ بسلوك الطريق الذي يوصلها بعد سنة أو عشر سنين أو بعد ثلاثين سنة الى ان يكون سلاحها مصنوعاً في مصانعها الخاصة وبأيدي رجالها وتحت نظر مهندسيها

اذن ، فالتجديد لابد منه اذا كنا لا نريد أن نبقى مقصرين فيما أُمِرْنا به من اعداد ما نستطيعه من قوّة . والاصلاح لابد منه اذا كنا عازمين على أن نخلع ثوب الذل عن أجسامنا

ولكن ، كما أن الاعمال التي هي أقلُّ من هذا العمل خَطَراً لابدّ لنجاحها من رسم خطط ذات مباديء وذات نتائج وغايات ، وكما أن الاعمال التي هي أقلُّ من هذا العمل خطراً لابدّ للقيام بها من قادة يرسمون تلك الخطط بدِقّة

وأمانة وحكمة ، ويجعلونها خطوطَ اتصال وثيقٍ بين تلك المبادىء وتلك الغايات ، كذلك حملة التجديد والاصلاح لا يجوز لنا قطُّ أن نندفع في طريقها بلا خطط مرسومة ، ولا يجوز لنا قطُّ أن نغفل عن معرفة ما اذا كانت الخطط من شأنها أن تَصِلَ ما بين مبادئنا المعلومة وغاياتنا المطلوبة. ولا يجوز لنا قطُّ أن نأمن الذين يسيرون بنا في تلك الخطط الا اذا علمنا أنهم مؤمنون حقًّا بالمبدأ الذي نتفق عليه وينطبق على حاجتنا من التجديد والاصلاح ، ومؤمنون بضرورة الوصول الى الغايات المتّفق عليها والمنطبقة على حاجتنا من التجديد والاصلاح . وأن نتثبَّت من أمر هؤلاء القادة فلا يخامرنا شكٌّ في أن يداً أخرى تقودهم على علم منهم أو بغير علمهم

***

ان في الشرق اليوم ــ وأعني هذا الشرق العربيّ الذي تملأ أقطارُه غربَ آسية وشمالَ افريقيّة ــ شيئاً يسمّى

حركة تجديد ، ومن المسلَّم به عندي أن التجديد وسيلة الحياة للشرق العربي والشرق الاسلامى معاً ، وقد أعربتُ عن ذلك بكل اخلاص وبكلّ صراحة . لأنى اذا اعتقدت شيئاً وتوصّلت فيه الى صميم الحقّ لايحول شيء بيني وبين الجهر به حق أملأ به أسماع كل من يبلغهم صوتي بلا تردّد ولا جمجمة . وأظننى تفاهمت آنفاً مع قرّائي على أن حملة التجديد لاتكون جهاداً فى سبيل الله والوطن الا اذا كانت ذات مبادىء واضحة ، وذات غايات معيَّنة ، وذات خطط نسير فيها على نور . وأن يكون قوّادها يعملون لذلك بقلوبهم عن رضى واختيار . فلا يكون فيهم المدسوس علينا ، ولا العامل لحساب العدو في صفوفنا . وان حقيقة قوّاد حركة التجديد تبقى مجهولة حتى تتعين مبادىء حركة التجديد وغاياتها وخططها . فمن عمل فيما بين هذه الامور بايمان واخلاص ملتزماً أن لا يخرج بالامة الى خطط

أخرى لاتصل الى تلك الغايات كان من قادة التجديد الذين يعملون لمبدإنا وغايتنا فى سبيل الله والوطن . ومن كانت له طرقٌ أخرى، وأهدافٌ أخرى فهو مدسوس علينا وعامل لحساب غيرنا فى صفوفنا ، سواء كان من الفريق الذي يعمل للاغيار وهو عالم بمهنته أو كان من نوع الادوات التي تقوم بوظيفتها بلا شعور

اذن فهناك تجديد حقيقي ، وتجديد مدسوس . واذن فالمقياس الذي يتميّز به التجديد الحقيقي عن التجديد المدسوس هو تعيين المبادىء والغايات ورسم الخطط فيما بينهما ولا تستطيع أن تعرف داعية الاصلاح الخائن الا اذا امتحنتَ دعوته ورأيتها ترمى الى اخراج الامة عن الخطط القويمة التى تصل مابين مبادئها وغاياتها

ترى ماهي مبادىء حركة التجديد الحقيقية التى يحتاج اليها هذا الشرق العربى ، وما هي غاياتها ، وما هى خططها ؟

نريد أن نكون أقوياء في أنفسنا ومحترَمين عند الامم القوية . هذه غاية يجب أن نصل اليها

ويجب أن نحتفظ بكِيانِنا القومىّ والوطنىّ والدينيّ . وهـذا مبدأ يجب أن نقطع اليدَ التى تحاول قطع ما بيننا وبينه

فالخطة التى يجب أن نرسمها بين هذا المبدأ وتلك الغاية هي أن نأخذ من كل مكان ما نحن فى حاجة اليه من أسباب العزّة والقوة . وأن نحتفظ بكل مافى كياننا القوميّ والوطنىّ والدينيّ مما لا يعـد من عوامل الذلّ وبواعث الوهن . وكلما كان ما لا نرى بأساً فى الاحتفاظ به من أركان كياننا أعظمَ وأضخمَ كان ذلك أدلّ علينا وأظهر لوجودنا ، ويعدُّ ذلك من حُسن حظّنا ونِعم الله علينا . وكلما كان ما نضطر الى استعارته من الامم الاخرى أقلّ وأصغر كان ذلك أحرى أن لا نذوب فى غيرنا ونخرج عن أنفسنا . ومعنى هذا ان كلّ

مالدينا من أجزاء كياننا يجب أن نحتفظ به إلا ماكان من ذلك مضرًّا ، وكل ماعند غيرنا لايجوز أن نأخذه الا اذا كان ضروريًّا

ان كياننا القومي والوطني والديني أشبه بجسم الرجل من رجالنا. فهل يرضى الرجل منا بصلم أذنيه حتى لو لم تكونا لطيفتين ؟ وهل يرضى بكشط جلده حتى لو كان مُجدَّراً ؟ وهل يرضى ببتر أصابعه حتى لو كانت غليظة ؟ ان من يرضى بذلك لايكون في حالةٍ عقلية محمودة . وهل اذا أصيبت يد أحدنا بمرض وكان في الامكان ان نخلص من ذلك المرض بالعلاجات نعمد الى اليد فنقطعها ؟ ان من يرضى بهذا لمجنون ! ان كياننا يجب أن نحتفظ به جهد طاقتنا وأن ندافع عنه حتى الموت . وأن لا نتجاوز منه الا عن مثل زوائد الشعر والاظافر . وأن لا نزيل منه الا مايُزال بالحمام من الاوساخ الطارئة . وكل من يدعوني الى أن أبتر من جسمي

لحماً أو عظماً أو عصباً فهو عدوّ أو رسول العدوّ . أما الذي ينبغي لي أن اقتبسه من الغير فكل ماهو من قبيل تنظيم اوقات العمل والراحة ، وتوفير أسباب الدأب والنشاط ، وإعداد دواعي الصحة والعافية ، وسائر مايعود على الجسم بالقوة والسعادة

نطلب تجديداً نتعلم به تنظيم حياتنا ، وادارة متاجرنا ومكاتبِ أعمالنا

نطلب تجديداً نستغنى به عن مصنوعات الامم الاخرى بمصنوعات تنتجها أوطاننا بأيدي أبنائنا

نطلب تجديداً يعرّفنا بأننا كنا فيما مضي أعزّ الامم ، فيجب أن نصل ذلك الماضي البعيد بآتٍ قريب نكون فيه من أعز الامم

نطلب تجديداً يعرّفنا بأننا كنا في زمن من الازمان أعلم الامم ، فيجب أن نصل ذلك الماضى البعيد بآتٍ قريب

نكون فيه من أعلم الامم

نطلب تجديداً يعرّفنا بأن أجدادنا استطاعوا بعد أن أزالوا الدولتين الرومانية والفارسية من الوجود أن تكون بأيديهم أرقى صناعات العالم ، فيجب علينا أن نصل ذلك الماضي البعيد بآتٍ قريب نكون فيه من أرقى الامم في الصناعات

أما الجديد القائم على انتهاز فرصة مانحن فيه من ذلّ لاقناعنا بأننا لم نكن في يوم من الايام شيئاً مذكوراً ، فنستنتج من ذلك أننا ليست فينا جرثومة الاستعداد لتبوُّء مقاعد العزّ ؛

وأما التجديد القائم على انتهاز فرصة مانحن فيه من جهل لاقناعنا بأننا لم نكن في يوم من الايام علي شيء من العلم ، فنستنتج من ذلك أننا ليست فينا جرثومة الاستعداد لتبوُّء كراسي العلم ؛

وأما التجديد القائم على انتهاز فرصة ما نحن فيه من انحلال وفوضى لاقناعنا بأن جميع أدوار حياتنا التاريخية « كخ » فنستنتج من ذلك أنه لاسبيل للخروج مما نحن فيه الا بالاندماج في هؤلاء الافرنج قلباً وقالباً والدخول في غمارهم ظاهراً وباطناً ؛

ان تجديداً هذه مظاهره لاريب أن خططه مرسومة بيد أعداء ويعمل على تحقيقه في هذا الشرق أعداء بلباس أصدقاء . ولا ابالي أن أقول بملء فمي : ان الجهل خير من مثل هذا التجديد الذي يُراد به أن يستعمر الاجانبُ قلوبنا فيستغنوا بها عن العناء في محاولة استعمار بلادنا . لاننا بعد أن نكون لهم يصبح العبد وما ملكت يداه لمولاه

فهل يرضى شباب الشرق العربي المجيد ، بهذا الضرب من التجديد ؟

يقول السيد المسيح صلوات الله عليه : من ثمارهم

تعرفونهم . فالعلامة بيننا وبين كل داع الى التجديد والاصلاح أن ننظر فيما يدعونا اليه : فان كان يدعو الى أسباب القوة من معارف وفضائل ، وتتجلّى في دعوته قرائن النصح لقوميته، والحرمة لمفاخرها ، والاحياء لمآثرها ، فهو داعية اصلاح حقيقي . واما ان كان من هؤلاء الذين يسوّدون الصحائف بهذيان لا علاقة له بالنهوض ، ولا غاية لهم غير مخادعة الشباب الطاهر ليعزلوه عن تاريخه ويخرجوه عن نفسه بما يحاولون من اقناعه بأنه سليل امـة ليس لها سابقـة من فضل أو مأثرة في الحضارة ، فمثل هذا لا ريب أنه مدسوس فينا ، ولعل العدوّ المجاهر بالعـداوة أقل ضرراً من حامل مثل هذه الثمار الخبيثة الى امة مسكينة تنشـد عزاً وصلاحاً

محب الدين الخطيب

صدق اللهجة

محاضرة الاستاذ الجليل السيد محمد الخضر حسين

في دار جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية

بالقاهرة

صدق اللهجة

ايها السادة ،

في كل خصلة فاضلة شرف وخير ، ولكل خصلة فاضلة أثر في سعادة الجماعة ، وقد تتفاوت هذه الخصال بكثرة الحاجة اليها . ومن الخصال التي تكثر مواضع الاحتياج اليها صدق اللهجة ، فلا غنى للجماعة عن أن يكون فيها صدق وحلم . والاحوال التى يحتاج فيها الى الصدق أكثر من الاحوال التى يحتاج فيا الى الحلم . ونحن لا نشعر بالحاجة الى شجاعة السيدات والاطفال ، وكل منا يشعر بالحاجة الى صدق الطفل الآخذ في التردد على المدرسة ، وصدق السيدة المصونة في خدرها ، كما يشعر بحاجتنا الى صدق الصانع في مصنعه والامير على كرسيه

فالكلمة التى نلقيها في هذه الليلة انما نصف بها فضيلة شأنها رفيع ، وأثرها في الاجتماع كبير ، وهو صدق اللهجة

ولا تثريب علينا اذا تناولنا في أثناء بحث هذه الفضيلة نبذة من الحديث عن ضدها وهو الكذب ، فان حقائق الفضائل تتجلى بمعرفة أضدادها

ماهو الصدق ؟

الصدق في لغة العرب : القاء الكلام على وجه يطابق الواقع والاعتقاد . ومقتضى هذا الشرح أن الكلام الذي يخالف الواقع والاعتقاد معاً أو يخالف أحدهما لا يدخل في حقيقة الصدق ، بل يندرج تحت اسم الكذب ، والكذب ذو ضروب وألوان

للصدق صورة واحدة ، وهي أن تصوغ القول على نحو ماتعتقد ، ويكونَ اعتقادك مطابقاً للواقع ، كأن تقول وأنت الناصح الغيور : سلطة العدو أمرّ من الصبر ، وأشد مضاضة من وقع الحسام

وللكذب ثلاث صور : احداها مايخالف الواقع والاعتقاد ، كمن يتملق فاسقاً أو باغياً فيصفه بالاستقامة ، وهو على بينة من

سيرته المغضوب عليها . (ثانيتها) مايخالف الاعتقاد ويطابق الواقع كالزائغ المنافق ينطق على نحو ماينطق به أولو الحكمة والهداية (ثالثتها) مايخالف الواقع ويطابق الاعتقاد ، كالغبي يعتقد صلاح بعض الفجار فيصفه بالولاية أو التقوى

هذه صور الكذب في مجاري كلام العرب ، وقد رأيتموها متمثلة في المتملق والمنافق والغبي . والذي يرجع عيبه الى الاخلاق العملية من هذه الصور ماجاء الحديث فيه مخالفاً للاعتقاد ، وسواء بعد هذه أخالف الواقع أيضا وهى الصورة الاولى ام كان مطابقا للواقع وهي الصورة الثانية

وبيان هذا أن الباحث في الاخلاق العملية يوجه عنايته الى نفس المتكلم حين القائه الحديث وينظر الى اعتقاده وما بينه وبين الحديث من مطابقة أو مخالفة ، فان وجد الرجل يسوق الحديث على غير مايعتقد وضع عليه اسم الكذب وعده في حملة هذه الرذيلة الساقطة ولو اتفق لحديثه ان كان مطابقاً للواقع . وان وجده

يلقي الحديث على نحو مايعتقد لايعده في أصحاب رذيلة الكذب وان لم يجيء حديثه موافقا للواقع

وهذا الذي تحدّث عن اعتقاد وجاء حديثه مخالفاً للواقع لا يرميه الباحثون في الاخلاق بسبة الكذب ، وقد يؤاخذ من جهة اخرى ، وهي انقيادُه الى الظنون الواهية وحديثه عن الامر قبل التثبت من أنه حقيقة واقعة

فالكذب في اطلاق علماء الاخلاق ينصرف الى من يحدثك بالامر وهو يعتقد انه غير واقع ، ومعظم ماورد في الشريعة من ذم الكذب ، محمول على اولئك الذين تنطق عليك ألسنتهم بأشياء يزعمون أنها واقعة وقلوبهم تنكرها

الاحتراس في صدق اللهجة

يحدّثك الرجل عن أشياء يحسّ بها في نفسه ، كالحب والبغض والعطش والريّ . ويحدّثك عن امور يدركها بحساته

الحس : البصر والسمع وغيرهما . وهو فيما يدركه باحساسه الباطن او احساسه الظاهر يستطيع أن لا يحدثك الا بما يطابق الواقع والاعتقاد ، فالرجل الصادق لا يقول «احببت» وهو يبغض ، ولا يقول « سمعت » أو « رأيت » الا اذا سمع أو رأى

وقد يحدّثك عن حادثة تلقّى خبرها من طريق الرواية ، او يحدّثك عن أمر أدركه على وجه النظر والاستدلال ، وهذان الصنفان هما اللذان يعثران به في مخالفة الواقع أحياناً ، وينزلان به الى أن تحوم حوله الظنون . فعلى صادق اللهجة أن يحترس فيما يتحدث به عن رواية أو يتحدث به عن ظن واستنباط . والاحتراس في الاخبار التى تجيء من طريق الرواية أن لا يحدث بها قبل أن ينقدها نقداً بالغاً ، وإن بدا له أن يخبر بها على نحو ماسمعها فليذكر أسماء رواتها حتى يبرأ من عهدتها . والاحتراس فى الحديث الذي يستند فيه الى ظن وأمارة أن لا يطرحه الى الناس في صورة المقطوع به ، بل ينبه على أنه تحدث به على وجه الظن ، كما يصنع

كثير من الملأ الذين يعافون الكذب و يريدون أن يجعلوا بينه وبين ألسنتهم حجاباً مستورا

فسياج صدق اللهجة الاحتراس في الحديث المستند الى رواية او ظن ، ومن حدثك بما علم واحترس فيما روى أوظن فقد قضى حق فضيلة الصدق ووفى

صدق اللهجة والمجاز

لا يخرج عن حدود الصدق مايجرى على ألسنة البلغاء من ضروب الكناية وفنون المجاز، كأن تقول لشخص: جئتك ألف مرة ، تكنى بالألف عن كثرة التردد ولا تريد بها عدد المرار . وكأن تقول : رأيت أسداً مخلبه الحسام ، وأنت تريد بطلا لا يلوي جبينه عن منازلة الاقران . وقد جاء فى كتب الاصول أن قوماً منعوا أن يكون في القرآن مجاز، وهم الظاهرية ، ولا شبهة لهؤلاء الا زعمهم ان المجاز من قبيل الكذب ، والقرآن قول فصل وما هو بالهزل . وهذه الشبهة مدفوعة بقيام القرينة

ادالة على أن المتكلم لا يقصد سوى معنى المجاز ، واذا كان قوله تعالى « الله وليُّ الذين آمنوا يُخرجهم من الظلمات الى النور » يحتوى قرينـة تنفي أن يكون المراد من الظلمات سواد الليل ، ومن النور بياض الشمس والقمر والسراج لم يكن هناك اخبار بما يخالف الواقع او الاعتقاد حتى يتناوله اسم الكذب الذي لا يحوم على كتاب الله في حال ، وانما الكذب ذلك الاغراق او الغلو الذي يضعه الشاعر خيالا بحتا ، كقول بعضهم :

ليس ذا الدمعُ دمعَ عيني ولكن هي نفسى تذيبها انفاسي

وقول الآخر :

وأخفتَ أهل الشرك حتى انه لتخافك النُّطف التى لم تخلقِ

صدق اللهجة والقصص الخيالية

القصص الخيالية ضروب :

(احدها) مايحكي على ألسنة الجماد او الحيوان كقصـة كليلة ودمنـة

(ثانيها) ما يحكى على ألسنة ذوي نفوس ناطقة ، ويدل المتكلم بالقرينة أو بالصريح من القول على انه اخترعها لتكون مأخذ عبرة أو أدبِ لغة ، كما صنع أبو القاسم الحريري في مقاماته. وهذان الضربان من قبيل الاخبار بما يخالف الواقع والاعتقاد ، والذي يسترعيب الكذب هنا أن المتكلم لم يوقع المخاطب في غلط وسوء تصوُّر ، وانما يعرض عليه حكمة أو أدبَ لغة في أسلوب طريف.

(ثالثها) ما يحكيه الرجل على ألسنة ذوي نفوس ناطقه ولا ينبه الى أن القصة غير واقعة ، وهذه أيضا خارجة عن حد الصدق الى مكان بعيد ، ولو كان الداعي الى وضعها ما تحتويه من عبرة أو أدب لغة . فالذين يزعمون أن في القرآن قصصا غير واقعة وأنها سيقت لما تحتويه من موعظة لا يريدون إلا أن يطعنوا في القرآن ويخادعوا المؤمنين ، والمؤمنون لا يُخدعون

صدق اللهجة واخلاف الوعد

الوعد إخبار عما ستفعله في المستقبل من احسان ، والصدق والكذب يجريان في الاخبار المستقبلة كما يجريان في الأخبار الماضية ، وقد وصف الله تعالى إسماعيل عليه السلام بصدق الوعد لوفائه بما يعد فقال « إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا » . واذا كان الوفاء بالوعد يجعله صادقا فاخلافه يجعله كاذباً لا محالة

وقد اختلف اهل العلم بعد هذا في لزوم الوفاء بالوعد فذهبت طائفة الى ان من وعد شخصاً باحسان وجب عليه انجاز ماوعد ، وقضي عليه بادائه ، وهذا مذهب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، ورجحه ابو بكر بن العربي في عارضة الاحوذي فقال « والصحيح لزوم الوعد ، وخُلفه كذب ونفاق » . وذهبت طائفة اخرى الى أن الوفاء بالوعد من مكارم الاخلاق ، وأن صاحبه يملك الرجوع عنه واذا بدا له أن يرجع فليس للقاضى عليه من سبيل . وذهب جماعة من فقهاء المالكية الى تفصيل ، وهو أن

الوعد المطلق غير لازم واما الوعد المنوط بسبب فانه يصير بمنزلة الدَّين الذي لامناص له من قضائه ، ومثال هذا أن تقول لشخص : تزوج وأنا أدفع المهر ، فاذا تزوج كان للحاكم أن يقضي عليك بدفع المهر قضاء نافذاً

صدق اللهجة واخلاف الوعيد

الوعيد إخبارٌ عما ستفعله من شر ، فاخلافه يجعله كالوعد المخلف قولا كاذبا . والرجل الذي يوعد آخر ثم يضرب عنه عفوا انما يُمدح من جهة أن مصلحة اخلاف الوعيد أرجح من مصلحة انفاذه ، ففضيلة العفو تغمر عيب الكذب وتجعله في نظر الاخلاقي شيئاً منسيا . ولتضاؤل نقص الكذب تحت عظم فضيلة العفو ساغ للانسان أن يتمدح باخلاف الوعيد كالذي يقول :

وإنيَ إن أوعدته أو وعدته لَأُخلف ايعادي وأنجز موعدي

ولا شك ان من يقرن الوعيد بنحو المشيئة يحميه أن يجعله

الاخلافُ كذبا ، ولكن الوعيد شأنه أن يصدر في حال غضب لا يملك صاحبه النظر الى العواقب ، فهو لا يكاد يلفظ به الا بعد عزم وتصميم

صدق اللهجة والمعاريض

فى هذه الحياة بلاء ، وأشد بلائها ما يمنعك من أن تقضي حق فضيلة . قد يلاقى الانسان حالا ترغمه على أن ينطق بما يكره ، ويسلك فى القول مالم يألف . ولو وقف علم الاخلاق أمام هذه الاحوال المرغمة صلبا جامدا لضاقت سبيله ووجد بعضُ النفوس للخروج على أمره عذرا بينا ، وقد وجدنا علم مكارم الاخلاق — الذى رفع الاسلام قواعده — فسيحَ الصدر بمقدار ما يسع مقتضيات الحياة الفاضلة

فصدق اللهجة يُعدّ فى الفضائل نظرا الى ما هو شأنه من حفظ المصالح ودرء المفاسد ، ولو عَرضتْ على وجه الندرة حالٌ يكون حديثُ الرجل فيها على نحو ما يعلم جالبا عليه او على غيره ضررا

فاحشا ، لوجد فى قانون الاخلاق مرونة تسمح له بأن يصوغ حديثه فى اسلوب لا يجلب ضررا

فاذا وقع الانسان فى حال لا يليق معه التصريح بامر واقع ولم يكن بدّ من أن يقول فى شأنه شيئا ، فهاهنا يُفسَح له بمقتضى قانون الاخلاق الذى أتقن الاسلام صنعه أن يأخذ بالمعاريض ، وهى ألفاظ محتملة لمعنيين ، يفهم السامع منها معنى ويريد المتكلم منها معنى آخر ، وان شئت فقل : هى ألفاظ ذات وجهين : أحدهما غير حقيقة وهو ما يسبق الى فهم المخاطب ، وثانيهما حقيقة وهو ما يقصده المتكلم ويحق لك أن تسمي اللفظ من أجله حديثا صادقا ، وهذا ما يفعله الذين أشربوا صدق اللهجة متى عرفوا أن فى القول الصريح حرجا او خطرا . ومما يساق مثلا لهذا أن أبا بكر الصديق كان يُسأل عن النبي صلى الله عليه فى طريق هجرتهما من مكة الى المدينة وهو يريد كتم أمره فيقول : هذا يهدينى السبيل . يريد أبو بكر من السبيل سبيل الخير والسعادة ويحملها السائل على الطريق

التي يسلكها المسافرون

وما كانوا يرضون عن الحديث ذى الوجهين اذا عمد اليه الرجل لغرض غير صالح ، قال عبد الله بن عقبة : دخلت مع أبى على عمر بن عبد العزيز فخرجت وعليّ ثوب ، فجعل الناس يقولون هذا كساكه أمير المؤمنين ؟ فكنت أقول : جزى الله أمير المؤمنين خيرا . فقال لى أبى : يا بنى اتق الكذب وما اشبهه . نهاه عقبة عن اجابة السائلين بقوله جزى الله أمير المؤمنين خيرا ، لانه يُلقي فى أذهانهم أن الخليفة هو الذى خلع عليه هذا الثوب ، ولا داعى له الى أن يجيبهم بهذه الجملة التى يتبادر منها غير الواقع سوى قصد الفخر ، والفخر باصابة حظوة عند الامراء ـ ولو كانوا مثل عمر ابن عبد العزيز ـ لايحسب فى الاغراض المحمودة حتى يحل للرجل أن يرتكب له حديثا ذا وجهين

عني الاسلام بصدق اللهجة جهد العناية ، ويريد مع هذا للامة اخاء وائتلافا يجعلها كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ويريد لجيشها

الفوز على أعداء يهاجمون او يتحفزون ، ويرغب فى أن يكون الزوجان على وفاق وحياتهما فى نظام ، لهذا خفف المصطفى صلوات الله عليه فى الكلمة يقولها الرجل ليطفىء عداوة استعرت بين طائفتين او يقولها فى حرب ليكفي قومه قارعة تسلط الاعداء ، أو ليسكت غضب زوجته الصالحة . وقد ذهب القاضى ابو بكر بن العربى فى تأويل الحديث الى انه اذن فى المعاريض ، فذكر هذا الحديث الذى يروى فى استثناء الحرب و الاصلاح واسكات غضب الزوجة ، ثم قال « ولكن ذلك بالمعاريض وهى الالفاظ التي يفهم منها السامع خلاف ما يريد القائل ، فهذا هو المأذون فيه »

اثر صدق اللهجة فى سعادة الفرد

يتحلى الانسان بأدب الصدق فيشرف قدره ، وتطيب حياته ، ويصفو باله . أما الشرف فلأن الصدق يدل على نقاء السريرة وسموّ الهمة ورجحان العقل ، كما أن الكذب عنوان

سفه العقل وسقوط الهمة وخبث الطوية. وقد جاء في حديث اكمل الخليقة مايرشد الى ان الصدق حسنة تنساق بصاحبها الى حسنات وأن الكذب سيئة تنجرّ به الى سيئات ، قال المصطفى صلوات الله عليه فيما رواه الامام البخاري « ان الصدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتى يكون صديقا . وان الكذب يهدي الى الفجور ، وان الفجور يهدي الى النار ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا . ولا يستقيم لاحد سؤدد أو يحرز في قلوب الناس مكانة الا حيث يهبه الله لسانا صادقا . واذا ابتغى الكذوب منزلة فانما يتبوّؤها بين طائفة ضربت على أدمغتهم الغباوة ، أو طائفة تؤثر اللهو على الجد ويشغلها الخداع عن النصيحة

واما طيب العيش فان الناس لا يطمئنون الا الى معاملة الصادق الامين ، وشأنهم الانصراف عمن ألفوه يضع الكلمة في غير واقع . وقد يحرص التاجر أو الصانع على درهم أو دينار

يقتنصه بكلمة غير صادقة ، فاذا هو يضيع سمعة طيبة وربحا وافرا

ومن المشاهد أن الصدق يكسب الرجل وقارا ويُلقى له المودة في عشيرته والناس أجمعين ، واحترام الناس للرجل مما يدعوهم الى النصح في صحبته ، واذا وَضع بين أيديهم شأناً من شئونه الحيوية قاموا عليه باخلاص

واما صفاء البال فمن ناحيتين :

(أولاهما) أن مرتكب الرذيلة لا بد أن يحس بوخز في ضميره ويسمى توبيخ الضمير ، والكذب من أفظع الرذائل ، فوخزه في الضمير غير يسير ، ومتى سار الانسان في طريق الصدق وأقام بينه وبين الكذب حصناً مانعا عاش في صفاء خاطر وراحة ضمير ، ولم يكن لهذا الوخز النفسى عليه من سبيل

(اخراهما) أن من يلطخ لسانه برجس الكذب لا بد من أن تبدو سريرته ، ويجر عليه شؤم هذه الرذيلة شقوة ، فلا يلاقي من الناس الا ازدراء ، وربما رموه بالتوبيخ في وجهه . أما صادق

القول فانه يظل ضافي الكرامة آمنا من مثل هذا الخطاب المهين

أثر صدق اللهجة فى سعادة الجماعة

تسعد الجماعة وتنتظم شئونها على قدر احتفاظها بفضيلة الصدق ، فالمعاملات كالبيع والاجارة والقرض والشركة لا يتسع مجالها ويستقيم سيرها الا ان تديرها لهجة صادقة ، والامة التى تسود فيها فضيلة الصدق حتى يكون القائمُ بأى عملٍ موضعَ ثقة الجمهور ، تتقدم حالتها الاقتصادية ولا يجد عدوّها الوسيلة الى مزاحمتها فى نحو التجارة والصناعة

والصداقات التى تجعل أفراد الامة كالجسد الواحد انما يشتد رباطها على قدر مايكون لهؤلاء الافراد من الاحتفاظ بصدق اللهجة

وقد يكون للكاذب صديق من صنف أصدقاء المنفعة ، ولكنه لا يستطيع ان يتخذ من إخوان الفضيلة صديقا حميما

فالذى يستهين بالكلمة الكاذبة يطلق بها لسانه ، يؤذى نفسه ويرهق المجتمع خللا وفسادا ، فالكاذب لايعد عضوا أشل

فقط ، وانما هو عضو يحملُ دما مسموما لا يلبث أن يسري الى الأعضاء المتصلة به فيؤذيها

اثر صدق اللهجة فى العلم

يعرق الرجل من فضيلة الصدق على طرق شتى ، وأبعد هذه الطرق ضلالا أن يتحدث فى العلم بما ايس من العلم اويضيف الى أحد قولا لم يصدر عنه ، يفعل هذا من يرغب فى التفوق على قرين ينافسه ، او يرغب فى أن تطيرله سمعة أعلى من منزلته ، ومن يحاول التفوق على قرينه بزخرف من الباطل فهو أخو الساحر ، ولا يفلح الساحر حيث أتى . ومن رضي بأن تكون سمعته فوق منزلته فان وراءَ السمعة عقولا تزن الرجال بالآثار فلا يدعون السمعة تغلو فى طيرانها ، بل يأخذون بناصيتها ويهبطون بها الى أن تكون مع منزلة صاحبها على سواء

ولو أيقن اولئك الذين يدسون فى العلم ما ليس من العلم أن من

حولهم بصائر نافذة أقلاما ناقده لما انساخوا من لباس الصدق ، ولكنهم قوم لا يوقنون

يتحدث العالم فى غير صدق فتذهب الثقة به من القلوب ، ويذهب معها شطرُ علمه وهو ما يرجع الى النقل والرواية . وكم من منتم الى العلم اطلعوا له على اصطناع خبر فطرحوه من حساب الموثوق بنقلهم ، وكذلك الرجل يخرج عن أدب الصدق مرة فيتعدى شؤم الكذب الى سائر أقواله فتوشك أن تذهب كما يذهب هذيان المبرسمين هزُؤا

كذبتَ ومن يكذب فان جزاءه اذا ما أتى بالصدق أن لا يصدَّقا

علل التهاون بصدق اللهجة

ينحرف الرجل في حديثه عن قصد السبيل لدواع مقبوحة ومآربَ دنيئة . وليس في وسعنا ذكر هذه الدواعى والمآرب ، وانما نسوق منها أمثلة تريكم أن من لا يقدر قيمة الصدق قد يبيعه بثمن بخس ، وكل ما يرضى به ثمنا للصدق فهو بخس ولو

حشوا له من هذه الصفراء والبيضاء مالا يأتي عليه حساب

ينحرف الرجل عن الصدق ليتملق ذا مقام وجيه ، ولا يتزلف الى ذوي المقامات الوجيهة بقول الزور الا من صغرت نفسه وضاق عليه مجال القول الصائب الحكيم . نحن نعلم أن بعض ذوي المناصب قد مسخت فطرهم فلا يرضون عمن يجلس اليهم الا أن يدخل عليهم من باب التملق والنفاق ، ونعلم مع هذا أن كرم الاخلاق يدعوك الى أن ترعى حرية ضميرك وتحافظ على صدق لهجتك ، فأجبْ داعيه وذر الذين يحبون أن تشيع فاحشة الملق في الامة فانهم قوم لا يفقهون

ينحرف الرجل عن الصدق ليُغرب على الناس ويريهم أنه صاحب سمر حتى يخفَّ عليهم ظله ويرغبوا في منادمته ، وانما يفعل هذا من يحرص على أن يغشي كل منزل وتتم به حلقة كل مجتمع . أما من يبتغي الحياة الزاهرة الشريفة فيتقلد فضيلة الصدق في كل حال ، ثم لا يوالي الا أولي الجد ، ولا يبذل خطواته الا

حيث تحترم الحقيقة والفضيلة

وقد ينطوي بعض الناس على عداوة الشخص فيرميه بمساوي، ليصرف عنه القلوب ويسقط مهابته من العيون، ولا أشأم على الرجل من أن يناضل عدوه بالبهتان . ومن كانت له حاجة في ان يؤلم اعداءه فانه لا يؤلمهم بأشد من احتفاظه بمكارم الاخلاق، ومن أعز هذه المكارم أن يكون حرّ الضمير عفيف اللسان

وفي الناس من اذا أخذ يحدثك في شأنه أو شأن سلفه أذنَ لقريحته فتخترع، وأطلق لسانه فيرتع في غير واقع، والألمعية تشهد بأن الرجل لا يستطيع أن ينال بمثل هذا الحديث ذرة من فخر أو حمد، وربما قام حديثه هذا شاهداً على انه لم ينشأ في أدب متين، فيطرح نفسه في زراية من حيث يريد أن يرفعها الى فخار

ومن لا يؤمن بأن خالق الكون يجازي هذه الالسنة على ماتصنع من تحريف او تزوير، لا يبالى أن يلبس الحقيقة بالباطل

ويصور بلسانه أشياء ليس لها في الواقع من مثال . ولا يكاد الملحد يحتفظ بصدق القول الا حين يريد أن يتشبه بذوى المروءة، وحين يخشى افتضاح زوره ويخشى من افتضاحه ضررا ؛ وانظر فى قصة أبي سفيان حين استدعاه هرقل في ركب من قريش وأخذ يسأله في شأن النبي صلى الله عليه وسلم ، فانكم تجدون ابا سفيان وهو زعيم قريش يؤمئذ يقول « فوالله لولا الحياء من أن يؤثروا عنى كذبا لكذبت عليه » قال ابوسفيان هذا ايام جاهليته وهو سيد قومه. أما صدق اللهجة القائم على الايمان الساطع فلا يختل نظمه ولا يختلف غيب صاحبه عن حال علانيته . فمن تصدى لاصلاح جماعة وعنى بأن يجعلهم المثل الاعلى لفضيلة الصدق فليسع لان يكون إيمانهم بالله راسخا، والايمان الراسخ مطلع كل فضيلة

محمد الخضر حسين

المعاريض

وجواز استعمالها في ثلاث خصال

* قال ﷺ : يا أيها الناس ، ما يحملكم على أن تتابعوا على الكذب (١) كتتابُع الفَراش في النار ؟ الكذب كله على ابن آدم حرام إلا في ثلاث خصال (٢) : رجل كذب على امرأته ليرضيها . ورجل كذب في الحرب ، فان الحرب خَدْعة . ورجل كذب بين مسلمينِ ليصلح بينهما * الترمذي

* قال رجل : يارسول الله أكذِبُ امرأتي ؟ فقال ﷺ : لاخير في الكذب . قال : فأعدُها وأقول لها ؟ قال ﷺ : لا جُناح عليك * مالك

---

(١) تتهافتوا عليه

(٢) وبشرط السلوك الى ذلك من طريق المعاريض كما تقدم في ص ٢٢١

الحكمة فى الغزل

الحكمة في الغزل

في مرتع الظبيات حور عين
للسحر في نظراتهن فنون
بيض يكاد يذوب في أصدافه
حسداً لهن اللؤلؤ المكنون
يبدو على وجناتهن رواؤها
فترى العقيق جرى عليه معين
متألقات كالكواكب في الدجى
متناجيات والكلام حنين
متثنيات مثل بانات اللوى
متحركات مالهن سكون
أبداً تميل مع النسيم قدودها
لا بدع أن تهوى النسيم غصون

متهاديات في شفوفٍ تحتها
تخفى الغضاضةُ تارةً وتبين
يُعطي الدلالُ قلوبَهن صلابةً
ويمسّها حرُّ الجوى فتلين
لاغروَ إن هزَّ القلوبَ جمالها
فالكهرباء تكون حيثُ يكون
أو حاولَ الولهانُ غمزَ نهودها
فهناك سرٌّ للغرام مصونُ
يصرعنَ بالاجفانِ من يلحظنهُ
فكأنما لحظاتهنَّ منونُ
واذا نبتْ يوم الجلادِ صوارمٌ
فالغيدُ لاتنبو لهنَّ جفون
واذا الظباء غدا لها أهل الهوى
قنصاً فإنْ كناسهنَّ عرينُ

جاذبْنَني هذْبُ الحديثِ عشيَّةً
وحديثهنَّ ـ كما علمتَ ـ شجونُ
ورأينني كهلاً ، فقلنَ : اذا صبا
بَذَلَ النضارَ ولبُّهُ مفتون
فلننصبنَّ من الدلال لقلبهِ
شَرَكاً لناصبهِ القلوبُ تدين
ولنظهرنَّ تدلُّهاً في حبهِ
حتى يُزيلَ الشكَّ منه يقين
فنُصيبَ خيراً لا يؤمَّلُ من فتى
غضِّ الصبى ترنو اليه العِين
إنَّ الذي يشري الوصالَ بمالهِ
لَفَتى وإن مرتْ عليهِ قرونُ
وتَلَوْنَ آياتِ الغرام وفسّرَتْ
ألفاظَهنَّ حواجبٌ وعيون

وبسمنَ عن مثلِ الجمانِ وقلنَ لي
الروضُ أحسنُ زهرِه النسْرين
ليس المشيبُ بمخمدٍ وجداً فكم
نارٍ لها تحتَ الرّمادِ كمُونُ
فظننتُ أني قد رجعتُ الى الصبى ،
وهل الصبى الأجوى وجُنون ؟
لا يكبح الأهواءَ فيه حِجىً ولا
ينهى الفتى عما يحاولُ دِينُ
وحسبتُني بعدَ الرّزانةِ مُوشِكاً
أن أستهامَ ، وذو الهيامِ حزين
فذكرتُ راعيةَ المشيب بلمّتي
وكففتُ نفسيَ ، والأبيُّ رصين
ولويتُ عنهنَّ العذارَ ومن يهِمْ
بعدَ المشيبَ فإنهُ لأفين

لن تعشقَ الفتياتُ ذا شيبٍ اذا
لم يُصْبِهِنَّ من النُضارِ رنينُ
ويَهِمْنَ بالمختالِ في بُرْدِ الصبى
حتى يقولَ الشيبُ بِنْ فيبين

***

ورايتني أهوى الوفاء وليس لي
إلاَّ الى الملإِ الوفيِّ رُكون
وأظلُّ ارعى للوليّ ولاءهُ
حتى أراه وقد وفيتُ يخونُ
فزعمنَ أنَّ قلوبهنَّ على الوفا
طُبِعَتْ، وأنَّ ودادهنَّ متين
لما ذكرنَ ليَ الودادَ وحفظهُ
أضحكنني، ومن الكلامِ مجون
هان الوفاء لدى الرجالِ كما نرى
أفليسَ عند الغاياتِ يهون ؟

ولقد سألتُ عن الوفاء فقيل لى
هذا الزمانُ بما ترومُ ضنين
ونشدْتهُ في الدورِ باذخةَ الذرى
فاذا الوفاء أمامهن طمين
وظننتُ أهل الجاهِ قبلَ تأمّلٍ
ممن يفي ، فاذا الضلالُ ظنونُ
وطلبتهُ عندالألى ساسوا الورى
فاذا الوفاء بدِرْهم مقرون
وسألت عنهُ الموسرين فأقبلوا
يتخازرون وفي الجباهِ غضون

***

ومُصانعٍ قد كنتُ أُوقن أنهُ
حصنٌ لمن صدقوا الولاء حصينُ
متكشفٍ عن كاذبٍ من ودّهِ
متظاهرٍ بالصدقِ وهو يمين

سلسِ القيادِ اذا تصلَّبَ دهرُهُ

واذا آستلانَ الدهرَ فهو حرَونُ

مازلتُ أمحضه ولائيَ مخلصاً

حتى تَذَكَّرَهُ عن الوفاءِ شؤون

لاتعجبنْ للمرءِ يصبح غادراً

فقد آغتذى بالغدر وهو جَنين

قلْ للذي قتل الوفاءَ بنكثهِ :

كلٌّ بما كسبتْ يداه رَهين

***

أمُعاهِداتِ ذوي الغرام على الوفا

هل عندكنَّ بما يُرام ضمين

حلفَ الرجالُ على الوفاءِ ولم يفوا

أتبرُّ يوماً للنساءِ يمينُ

كفرمتى (لبنان) امين ناصر الدين

مدينة الدار

مركز حربي في بلاد العرب — التنافس الدولي — طريق نهري من موقع البصرة الى طرابلس الشام — بداية المسألة الشرقية — الطريق البري من دمشق الى تدمر فالعراق — الحكم الفارسي — سقوط الدار — حادثة (التوحيد) العظمى — الاكتشافات الحديثة

صفحة من التاريخ العربي المجهول :

مدينة الدار

على الضفة الغربيّة من الفرات : في الجهة الواقعة منه في غرب ديار رَبيعة وفي جنوب ديار مُضَر، وبين صِفّين شمالا وعانة جنوبا ؛ بلدةٌ تُسمى الآن (الصالحية) وكان في موقعها قبل خمسة آلاف سنة مدينةٌ عربية عظيمة تتصل بمملكة الآثوريين وكانت تُسمى (الدار) بمعنى «المنزل» أو بمعنى «الحصن» . وبنو عمّنا الآثوريون كانوا يُشِمُّون ألِفَ «الدار» بضمّةٍ فيلفظونها (الدُّار) أي بمدّ يتراوح بين فتحة الالف وضمة الواو كما تصدر هذه اللفظة الآن من أفواه الفلاحين في البلاد التي كان للهجة السريانية فيها سابقة . وهذا الاشمام في لفظ (الدُّار) عند الآثوريين لا تأثير له الا في اللهجة وكيفية النطق ، والاّ فمعناه في لغتهم «المنزل»

أيضاً ، ولا غَرْوَ فاللغتان ـ العربية والاثورية ـ كانتا لغة واحدة فى عهد الوحدة السامية الاولى.

فِي تلك البقعة من الوطن العربيّ كانت توجد مدينة عظيمة قبل خمسة آلاف سنة ، كما علمتَ. وقد دلّت آثارُها وكتاباتها المكتشفة أخيراً على أنه كان فيها يومئذ دولةٌ قوية ذات حضارةٍ وعلوم وبَسْطةٍ ونفوذ. وكان فيها لبني عمّنا الاثوريين مركزٌ حربي يُشرِفون منه على الديار الشامية

لم تكن الدّار قائمة بمهمتها الحربية فقط ، بل كانت أيضاً بمنزلة القلب من حركة الايراد والاصدار التجاريين بين القطرين الشقيقين ، العراق والشام ، لان (الفرات) الذي كان متصلا من الدّار الى الخليج الفارسي كان يكمل اتصاله هذا الى ساحل طرابلس الشام بقناة تتفرّع من الفرات وتشقّ البادية شقاً الى الغرب حتى تنصبَّ في البحر الابيض المتوسط، وكانت على طول مجراها مزدانة بالمراكب الشراعية

البيضاء اللامعة بأشعة الشمس والمنحدرة فى نور القمر

بقيت هذه المدينة عروسَ الصحراء العربية ، وواسطة الارتباط بين الشام والعراق ، وعلامة التنافس الحربى والسياسي بين الدول المتجاورة هنالك يومئذ ، فاستمرت الحال على ذلك نحو ثلاثة آلاف عام أو قريباً من ذلك ؛ الى أن بدأت (المسألة الشرقية) بيننا وبين الغربيين بمجيء الاسكندر المقدوني الى أوطاننا الشرقية غازياً الشام ومصر والعراق وفارس والهند ، فكان مركز (الدُّار) المتوسط بين الشام والعراق وجزيرة العرب مما لفت نظر المقدونيين اليها ، ودعاهم الى العناية بأمرها . فأنشأ سِلِفْكُس نيكاتورو (أي الظافر) بين سنتي ٣١٢ و ٢٨٠ قبل الميلاد مبانى جديدة الى جانب مبانى (الدُّار) القديمة وسماها (دُار أُرُوبوس) ، فظلّ هذا الجانب من الوطن العربيّ تحت سلطانهم فى حُكم المستعمرة المقدونية

ضخمت الدار وعظمت شواهقها بما خلفه الآشوريون ، وبما أضافه اليه المقدونيون ، من قلاع وقصور يتوسطها هيكل تتابعت على تعظيمه أيدي البنائين والمهندسين من ساميين ومقدونيين يتسارعون جميعاً الى تخليد ذكرى أمجادهم ـ الصادقة والكاذبة معاً ـ بالكتابات والنقوش الاثرية التي أخنى الدهر على كثير منها وبقي الى اليوم بين أنقاضها مايدل قليله على كثيره وباقيه على بائده

ويقول الاثري المعروف (فرنز كومون) في كتاب ألفه في وصف ما اكتشف حتى الآن من آثار الدار : ان الكتابات الاثرية التي وجدت في أنقاضها تدل على أن نزاعاً عظيماً كان قائماً في تلك المدينة وفيما حولها بين مدنية الساميين ومدنية المقدونيين . (والمعروف في التاريخ أن الشرق والغرب في زمن الاسكندر وخلفائه كانا في مثل موقفنا اليوم من أوربا) فكان المقدونيون يلحون في غزو حضارتنا

وكانت حضارتنا ثابتة تجاهها كالفولاذ محتفظة بكيانها ومدافعة عن ثمرة مساعيها في الاجيال الطوال . وكانت النتيجة اعتراف الحضارة المقدونية بالعجز عن ازالة الحضارة الساميّة والتصرُّف في النفس العربية ، فنشأت في مدينة الدُار حضارة أخرى ذات صبغة مستقلة لاهي كالاثورية القديمة تماماً ولاهي بمقدونية محضة . ذلك ما دلّت عليه النقوش والكتابات المكتشفة هناك ، وبقايا الفنون والآثار التي ظهرت من تحت الانقاض

وزال الحكم المقدوني باستيلاء الرومانيين على مصر والشام فكانت الدار ثابتة على عهدها في مقاومة الحكم الاجنبي مستندة الى ركن قويّ وهو روح جزيرة العرب التي من عادتها أن ترمي بنفسها في أحضان من يبرهن على استعداده لقيادتها من أبنائها ، بينما هي لاتطيق تحكم الاجنبي فيها ولو جاءها بالنعيم المقيم . فلما طال أمر العداء الذي يتوارثه

أهل الدُّار بطناً بعد بطن للمقدونيين ثم للرومانيين ، يئس الرومانيون من البقاء بين فكّي الأسَد فاكتفوا بأن تكون قناة الفرات الواصلة الى ساحل البحر الابيض حاملة صادرات التجارة ووارداتها بين الشام والعراق الى فارس والهند . الكن زوال سلطان الاجانب السياسي عن الدُّار جعل الراية الرومانيه التى تخفق على المراكب الشراعية في قناتها الى الفرات غير مرغوب فيها من سكان البلاد العربية ، لاسيما عند ماتقع اختلافات عادية يبدي فيها أتباع الحكومة الرومانية غطرسة تأبى النفسُ العربية أن تطيقها . زد على ذلك أن الرومانيين والفرس كانوا في موقف غير محمود بسبب اصرار الرومانيين على البقاء هنالك وفي العراق

ولما طال الامدُ على هذه الحال فكّر الرومانيون بأنشاء طريق برية بين الشام والعراق وما وراءها من بلاد الشرق ، وكانت (تدمر) بعيدة عن قلب بلاد العرب وأهلُها مضطرون

ـ بسبب مركزهم الجغرافي ـ الى محاسنة الرومانيين ، فزاد الرومانيون في محاسنتهم واتفقوا معهم على أن تكون بلدتهم على الطريق بين دمشق والعراق . ومن ذلك الحين صار اتدمر مكانة تجارية جاءتها بالثروة وساعدتها على التبسط في الحضارة

وكان الفُرس في القرن الثاني بعد الميلاد يرون أنهم فى العراق والبلاد القريبةمن العراق فى حكم الخلفاء اللاثوريين، فحاولوا استلحاق الدُّار ، وأبى عليهم أهلها العرب ، فاستمر النزاع نحو مائتي سنة بين هذه الطائفة العربية القليلة وبين الدولة الفارسية . وكانت الدولة الفارسية فى هذه المدة الطويلة قد تبين لها استحالة حكم العراق العربي كما تحكم البلادالفارسية المحضة ، فكفت عن أساليب القسوة التي كانت تستعملها ورضيت لنفسها بالسيادة فقط وأباحت للبلاد أن تحكم نفسها بالاساليب التى ترتاح اليها . فلما رأت الدُّار منهج الفرس

الجديد فى البلاد العراقية لم تجد على نفسها من غضاضة بالتخلي عن مقاومة الفرس الذين كانت الدار أبعد عن مركز سلطانهم من العراق فدخلت فى القرن الرابع الميلادي تحت سلطانهم اسماً وظلت مستقلة فى الحقيقة ، بل كان استقلالها أجلى وأظهر مع توالي الزمن ، الى أن أتمّ الله على العرب وحدتهم الشاملة واستقلالهم الاعظم تحت راية « التوحيد » فى جميع الاوطان السامية

ترجع العظمة التاريخية التى اكتسبتها مدينة (الدّار) الى سببين لا ثالث لهما :

١ ـ القناة التي كانت تمرّ بها

٢ ـ وجودها في نقطة متوسّطة بين دول متعدّدة

أما القناة التي لا تزال آثارها باقية الى اليوم فكانت انقطعت عن مجراها بين الفرات والبحر الأبيض من قَبْل الاسلام بعهد طويل ، ولا ريب أن تحوّل الطريق التجارية

عن (الدَّار) الى (تدمر) كان من أسـباب انقطاع تلك القناة وانسداد فوهتها على ضفة الفرات ، هـذا اذا لم يكن سدّها لسبب حربي دعا العربَ اليه منع زحف الرومانيين عليهم بالمراكب ، فذهب ذلك بشطر عظيم من أسباب عظمة الدُّار

ثم ان زوال الدولتين الفارسية والرومانية من الوجود بالفتح العربي الأعظم على أثر (التوحيد) قد انعدم به التنافس الدولي الذي كان يجعـل لهذا المركز الحربي أهمية استثنائية . وهذا سبب آخر من أسباب تنامي البشر لهذه المدينة

وبعد فان الآثار التي انجلى عنها البحثُ والتنقيب الآن في (الصالحية) على ضفة الفرات بين طرابلس الشام والبصرة تدل على أن مدينة الدُّار التي كانت قائمة هناك ، كانت المسرح الأول من مسارح الصراع بين الشرق

والغرب لا من الوجهتين الحربية والسياسية فقط ، بل من وجهة الصراع بين الحضارتين أيضاً وتعدُّ الدَّار حلقة من الحلقات الاولى في سلسلة أدوار المسألة الشرقية . وان الآثار الفنية التي ظهرت في صالحية الفرات ذات بال في تاريخ علاقات الشرق بالغرب . ومع ذلك فان ما ظهر حتى الآن من آثارهـا ليس كل ما ينتظر اخراجه من تحت الانقاض ، ولعل التنقيب المستمر سينير هـذه الصفحة من تاريخ تلك البقعة العربية ، ويكشف لنا عن حقائق اخرى من تاريخنا القديم الذي خبأه الدهر في ثنايا مختلفة الانحاء

محب الدين الخطيب

◆▪◆▪◆▪◆

* من عقائد قدماء المصريين أن سعادة الرجل لاتتم الا بأن يكون كاتباً أو من عمال الحكومة

كتبي يفحم شاعراً

من عادة الشاعر الانكليزي كپلينغ أن يدخل حوانيت الكتب المستعملة ويقف ساعة أو ساعتين يقلب صفحاتها ويختار شيئاً منها. ويقال عنه انه انتخب مرة كتاباً مستعملا، وقبل أن يشتريه سأل البائع :

— هل تظن هذا الكتاب مفيداً ؟

فأجابه الكتبي :

— لا أعلم ، لاني لم أقرأه

الشاعر — إني أعجب كيف تبيع كتاباً لم تقرأه قط

الكتبي — وأنا أعجب لعجبك ، وهل لو كنتُ صيدلياً ينبغي لي أن أذوق كل ماعندي من عقاقيرَ وعلاجات وسُموم ؟



كشافة الشام

بذكرى المولد النبوي الشريف

كشافة الشام

وذكرى المولد النبوي الشريف

لم يتردد في الصحف المصرية صدى صوت الكشافة في مصر يوم عيد المولد النبوي الشريف ، لذلك لم نعلم كيف استقبل الكشافة المصريون هذه الذكرى العظيمة التي يحرص المسلمون من الكشافة على التأسي بفضائلها السامية قبل غيرهم . ولكن مجلة (الكشاف) التي تصدرها الكشافة الاسلامية في بيروت جاءتنا وفي صدرها (المولد النبوي الشريف) الذي رتل الكشافة آياته هنالك في هذا العام . وهو :

في مثل هذا الشهر ولد في مكة «محمد» عليه الصلاة والسلام .

كان في حداثته نجيباً ، وفي فتوّته اميناً ، وفي كهولته نبياً كريماً .

ادى رسالته ، وكان الجذوة المشتعلة لهذه الشريعة السمحة .

ثبت ثبات الابطال ، وصبر صبر الكرام ، ففاز فوزاً مبينا :

صلوا عليه وسلموا تسليما !

« الكشاف المسلم » الذي يحب محمداً وصحبه ، يقف اليوم ويستعرض الماضي والحاضر :

البون شاسع بين الامس واليوم ، ولكن الكشاف لن ييأس من روح الله .

محمد صاحب الخلق العظيم ، والدين القويم ، قبلة الكشاف ومثله الاعلى ،

ومن كان محمد قبلته ومثله الاعلى ، فلن يضلَّ ولن يغوى :

صلوا عليه وسلموا تسليما !

محمد اول من افرغ حب الوطن في افئدة العرب ، واول من قادهم في سبل الخير ،

محمد اول من الف بين قلوبهم ، وجعلهم رجالاً يتسابقون

الى الخيرات ،

محمد اول من وجه وجوههم الى تمصير الامصار وتمدين البلدان ،

محمد اول من حضّ على العلم ، ودعا اليه ، وكرّم رجاله :

صلوا عليه وسلموا تسليما !

اللهم انّا نبتهل اليك في صبيحة عيد ميلاد رسولك ونسألك والخشوعُ مالئٌ قلوبنا ، أن تهدينا بهديه وترشدنا برشده ،

عسى ان نعيد سيرتنا الاولى وان نجدد مجدنا الاثيل ، فنسمع من جنبات الارض ومن جنبات السماء :

« صلوا عليه وسلموا تسليما ! »

دمعة فى فجر ...

دمعة في فجر ...

دمعي كدمعك يا صداح هتانُ
أشاقكَ الإلفُ أم شاقتكَ اخوان
فما لجنحيكَ خفاقين من حزنٍ
وقد عهدتكَ لاتشجيكَ أحزان
فهل أصابك سهم العين أم نزات
بساحة الروضِ أتراحٍ وأشجان
فرحتَ تُذري دموع العين من شجنٍ
شبّت له في حنايا النفس نيران
هي الحوادثُ ماترعى أخا ذمم
« ولا يدومُ على وُدٍ لها شأن
فكم رمى الدَّهرُ من قلبٍ بأسهمه
حتى جرت بدماء القلب أجفان ..

يا بلبلَ الروض هل تأسو الجراح بنا
في الروض منكَ أناشيدٌ وألحان
إن عزَّ في العالم الاخلاصُ ننشدُه
فأنت للصدقِ والاخلاصِ عنوان
فصفْ لقومي دواءً تستردُّ به
مجدَ العروبةِ والاسلامِ أوطان
أناخَ صرفُ الرّدَى فيها بكلكلِهِ
حتّى فشَا منهُ في الآفاقِ طغيان
فلا الحياةُ حياةٌ في جنائنها
وقد ذوَى بالأسى آسٌ وريحان
ولا الهناءُ هناءٌ في مراتعها
وقد نأتْ عنهُ آسادٌ وغزلان
ولا العيونُ ، عيونُ الغيدِ ، بارقةً
وقد أغاضَ رُواءَ العين نهتان

***

أين الربوعُ وقد كانت خمائلُها
تضوعُ مسكاً، وأين المسك والبان ؟
وصوّحَ اليومَ فيها النّبتُ واندرستْ
فيها دعائمُ قد عزّتْ وأركان
وأصبحَ الربع نهباً بعدَ منعتهِ
تلقى صنوفَ الرزايا فيهِ سُكان
إذْ ينعقُ البومُ فيه غيرَ ذي جزَعٍ
وفي الغياضِ شواهينٌ وغربان
تجاوبَ الريحُ، والأصداءُ ترجِعُها
رَجْعَ الأنين، فتبكي فيه مَنْ كانوا

***

في جبهةِ الدّهرِ كنّا أنجماً سطَعتْ
ونحنُ للكونِ أقمارٌ وتيجان

على الليالي كراماً ، لا تُذلّلنا
صُروفُها ، ولها للعُربِ اذعان
كانت لدولتنا تعنُو جبابرة
دانت لها في الوغى بيض وُمرّان
فما لنا بعدَ ذاكَ العزّ يجرُفُنا
سيْلُ الهوانِ ، فلا عزٌّ ولا شان ؟

***

ياهبّةَ العربِ للثارات تَطلُبها
دِينوا العُداةَ ، كما أوطانَكم دانوا
هي البلادُ جُموعُ المخلصينَ لها
في نصرةِ الحقّ أجنادٌ وأعوان
في حَوْمةِ المجدِ صُولوا ، فالحياة لِمَنْ
يلقى صروفَ الليالي وهو يقظان ..

« س . الزركلي »

﴿العرب والكرة الأرضية﴾

كانت الكرات الارضية والسماوية كثيرة التداول بين ايدي أجدادنا [1] بحيث كانوا يتهادونها كما نتهادى نحن الكتب وأمثالها . وفي ديوان ابن مطروح أن ذلك الشاعر أهدى الى صديق له كرة أرضية وأسطر لاباً لمحيط السماء ، وكتب اليه :

كرَةَ الأرض مع محيط السماء
لكَ أهديتُ ياكريم الاخاء
وإذا ما قبلتَها فلكَ المنّـ
ـة عندي يا أكرمَ الكرماء

وابن مطروح ولد في أسيوط سنة ٥٩٢ هجرية ، ونشأ بقوص من بلاد الصعيد وتوفى بالقاهرة سنة ٦٤٩ هـ . ودفن بسفح المقطم

---

(١) انظر مجلة الزهراء ٢ : ٣٨٥ و ٤٤٩ و ٥٥١

الشاعر

الشاعر

— الى شاعر تونس السيد سعيد أبي بكر —

أبا بكر نظمتَ وما مدَحتْا
فها أنا ذا أقرّظ ما نظمتا

وما التقريظ إلا الشكر يُهدي
على ما صُغتَ من أدب وصنتا

ولستُ أقول : ذا درٌّ نضيد
لأنك ما التقطتَ ولا نضدْتا

ولستُ أقول : ذا زهرٌ شذيٌّ
لأنك ما غرستَ ولا قطفتا

ولستُ أقول : راحٌ في زجاج
لأنك ماعصرت ولا سبكتا

وقد لهجوا بقولهم « بديع »
« بليغ » « فائق » حتى سئمنا

***

أبا بكر أرى شعراً عبوساً
فأذكرُ سيف بِشر والسّبَنْتَى
وأقرأ تارة شعراً وضيئاً
أتنحتُه من الجوزاء نحتـا !
تجاهد في سبيـل يبتغيهـا
غريبٌ غاشم ٍعوَجاً وأمتا
تكافحه ، وقد طفحت يداه
بعسف يملأ الأفواهَ صمتا
وليس الشعر بالصمْصام يلوي
ذراعي من يصبُّ الهونَ بحتا
بل الشعر الحـكيم ثقاف سمُر
تسميها القـلوب اذا نطقتـا

شعورٌ فائتلاف فاتحاد
فعزمٌ يسحتُ الارهاق سَحتا

***

أبا بكر أُعيذك من خيال
يروغ عن الهدى ويحوك بيتا
وفي الشعراء من ضاقت خُطاه
وفاتته الحقائقُ وهي شتّى
فراح يخال لَهْوَ القول جداً
وينفث في مكان الرُشد بُهتا
وشعر العرب ذو نُظُم ، فرفقاً
بها إن شئت رِفقاً واستطعتا
لعل الذوق لايسلو نظاما
تزحزح عنه بعض القول بغتا

وكان قريض تونس في صفاء
وإبداع يضاهي الشهبَ نعتا
ولاقى من صروف الدهر عَسفًا
فَنضّب ماؤه واغبرَّ نبتا
أيُزهى بلبلٌ في كفّ فظٍّ
يُمِضُّ البلبلَ الغرِّيد مَقتا
وما هو كالطليق يَميسُ تيهاً
ويشدو فوق أملودٍ تَثنّى

***

أبا بكرٍ أخذتَ تُعيد ذكرا
هوى ، فابغ الأناة اليه سمتا
وخلِّ البختَ يسعى للكسالى
وسمِّ الحزمَ والاقدامَ بَختا

محمد الخضر حسين

﴿ مكتبة الجمعية الجغرافية بلندن ﴾

للجمعية الجغرافية في لندن خزانة كتب عظيمة تحتوي على ستين ألف مجلد ، وفيها خريطة من القرون الوسطى رسمت سنة ١٢٧٥ م (٦٧٤ هـ) وخرائط أخرى من القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلادي ، وخرائط قديمة للبحر الاحمر وشواطيء جزيرة العرب . ومن مقتنياتها أسلحة وأشياء لأمين باشا والرحالتين صموئيل بيكر وستانلي اللذين جابا أصقاع إفريقية



* كانت الكتابة عند قدماء المصريين من أسمى الصناعات ، وكانوا يعفون صاحبها من الضرائب

الاندلس

صفة أهل الاندلس

في القرن الثامن الهجري

قال الوزير الاندلسى لسان الدين بن الخطيب فى كتابه (اللمحة البدرية ، فى تاريخ الدولة النصرية) :

أحوال أهل هذا القطر في الدين وصلاح العقائد أحوالٌ سنّية ، والاهواء والنِحَل فيهم معدومة ، ومذاهبهم على مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة جارية ، وطاعتهم للامراء مُحكمة ، وأخلاقهم في احتمال المعاون الجبائية جميلة . وصوَرهم حسنة : معتدلة أنوفهم ، بيضٌ ألوانهم ، مسودّة غالباً شعورهم ، متوسّطة قدودهم ، فصيحة ألسنتهم ، عرَبية لغاتهم يتخللها عُرف كثير وتغلب عليها الامالة . وأخلاقهم أبيّة في معاني المنازعات ، وأنسابهم عربية ، وفيهم من البربر والمهاجرة كثير

ولباسهم الغالب على طبقاتهم الفاشي بينهم المَلْفُ المصبغ شتاء [1] تتفاضل أجناس البِزَز منه بتفاضل الجدات والمقادير . والكتانُ والحريرُ والقطن والمرْعِزّى والاردية الإفريقيَّة والمقاطع التونسية والمآزر المشفوعة صيفا . فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهارُ المفتَّحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة

وجُندهم صنفان : أندلسيٌّ وبربريٌّ

الاندلسي منه يقوده رئيس من القرابة أو أحظياء الدولة ، وزيُّهم في القديم شبيه بزي جيرانهم وأمثالهم من الروم في إسباغ الدروع وتعليق الترسة وجفاء البيضات واتخاذ عراض الأسنة وبشاعة قرابيس السروج واستركاب حَمَلة الرايات خلفهم : كلٌّ منهم بسِمة تخصّ سلاحه ، وشهرة يُعرف بها . ثم عدلوا الآن عن هـذا الزيّ الى الجواشن

(١) الملف : الجوخ المنسوج من الصوف

المختصرة ، والبيضات المذهبة والسروج العربية ، واليلب اللمطية ، والاسل اللطيفة

والبربري منه ترجع قبائله المرينية والزيانية و التجانية والعجيسية والعرب المغربية الى أقطاب ورءوس يرجع أمرهم الى رئيس على رؤسائهم وقطب لعرفائهم من كبار القبائل المرينية يمتّ الى ملك المغرب بنسب

والعمائم تقلّ في زي أهل هذه الحضرة إلا ما شذّ في شيوخهم وقضاتهم وعلمائهم والجند الغربيّ منهم

وسلاح جمهورهم العصيّ الطويلة المثنّاة بعصي صغار ذات عرى في أوساطها تدفع بالأنامل عند قذفها تسمّى بالأمداس . وقسيّ الفرنجة يحملون على التدرّب بها على الانام

ومبانيهم متوسّطة ، وأعيادهم حسنة مائلة الى الاقتصاد ، والغناء بمدينتهم فاشٍ حتى بالدكاكين التي تجمع كثيراً من الأحداث

وقوتهم الغالب البرُّ الطيّب عامةً ، وربما اقتات في فصل الشتاء الضعفةُ والفعلة الذرةَ العذبة أمثلَ أصناف القطاني (١) الطيّبة . وفواكههم رَغْدة ، والعنب بحر لإ نافة كرومه التي ينالها الخرجُ على أربعة عشر ألفاً لهذا العهد . وفواكههم اليابسة عامةَ العام متعددة : يدّخرون العنب سليماً من الفساد الى ثلثي العام ، الى غيره من التين والزبيب والتفاح والرمان والقسطل والبلّوط والجوز واللوز ، الى غير ذلك مما لا ينقطع مَدَدُه الا بفصل يزهد في استعماله

وصَرفهم فضة خالصة وذهب إبريز طيب محفوظ لا تفضل سكتَهم سكة

وعادة أهل هذه المدينة الانتقال الى حِلال العصير أوان إدراكه بما تشتمل عليه دورهم ، والبروز الى الفُحوص (٢) بأولادهم وعيالهم ، معوّلين على شهامتهم

(١) القطانى جمع قطنية وهي مايدخر في البيت من الحبوب
(٢) المزارع التى على الحدود

وأسلحتهم على كثب عدوّهم ، واتصال أبصارهم بحدود أرضه
وحَلْيُهم في القلائد والدمالج والخلاخيل والشنوفِ
الذهبُ الخالص الى هذا العهد في ألي الجدة ، واللُجَينُ في
كثير من آلات الرجلين فيمن عداهم
والأحجار النفيسة من الياقوت والزبرجد والزمرّد
ونفيس الجوهر كثيرٌ فيمن ترفّع من طبقاتهم المستندة الى
ظلّ دولة أو أعرق أصالة موفورة
وحريمهم حريمٌ جميل : موصوف باعتدال السِمَن
وتنعّم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب الشذا
وخفّة الحركات ونُبل الكلام وحُسن المحاورة ، إلا أن
الطولَ يندُر فيهنّ . وقد بلغن من التفنّن في الزينة لهذا
العهد ، والمظاهرة بين المصبغات ، والتنافس فى الذهبيات
والديباجيات ، والتماجن في أشكال الحلي الى غاية بعيدة

نسمة أزهار الاندلس

بعث شوقي بك بهذين البيتين مع داود بك بركات الى المرحوم اسماعيل صبري باشا يسأله رأيه فيهما وهما :

ياساريَ البرق يرمي عن جوانحنا
بعد الهدوء ، ويرمي عن مآقينا
ترقرق الماء في دمع السماء دماً
غاضَ الاسى فخضبنا الارضَ باكينا

* * *

فأجاب اسماعيل صبري باشا :

بأفق أندلسٍ برقٌ يُحيّينا
يبيتَ يضحك منّا وهو يُبكينا
يا وامضَ البرق كم نبّهتَ من شجنٍ
في أضلعٍ ذهلتْ عن دائها حِينا

فالماءُ من مُقَل ، والنار من مُهجٍ
قد حار بينهما أمرُ المحبّينا

لولا تذكُّرُ أيام لنا سلَفت
ما بات يبكي دماً في الحيّ باكينا

فهل تبيَّنتَ في أطلالِ قُرطُبةٍ
في دار ولاّدة معَ ابن زيدونا

ألقوا خطيئاتهم في حجر هيكلهم
واستعبروا ، ثم عادوا غير خاطينا

* * *

يا آل وُدّيَ عودوا ، لاعدِمتكمُ
وشاهدوا ويحكم فعلَ النوَى فينا

يانسمةً ضمَّختْ أذيالَها سحَراً
أزهارُ أندَلُسٍ ، هُبّي بِوادينا !

الغزالي

في دور انتقاله من العلم الى الزهد

قال القاضي أبو بكر بن العربيّ :

لقيتُ أبا حامد وهو يطوف وعليه مرقّعة . فقلت :

— ياشيخ ، العلم والتدريس أولىٰ لك من هـذا ، إذ بك يُقتدَى ، وبحُكمك الى معالم المعارف يُهتدى

فقال : — هيهات ، لما طلع قمرُ السعادة ، في فلك الارادة ، أشرقت شموس الوصول ، على مصابيح الاصول ، فتبيّن الخالق لأرباب الالباب وذوي البصائر ، إذ كلّ لما طُبع عليه راجعٌ وصائر

وأنشد :

تركتُ هوى ليلى وأبْنى بمعزلِ
وصرتُ الى مصحوب أوّل مَنزِلِ
ونادتنيَ الاكوان : مهلا فهـذه
منازلُ من تَهوى رُويدَكَ فانزِلِ
فعرّستُ في دار الندى بعزيمة
قلوبُ ذوي التعريف عنها بمعزل
غزاتُ لهم غزلاً دقيقاً ، فلم أجد
لغزليَ نساجاً ، فكسّرت مِغزَلي



القائمون لله بالحجة

نفثة من نفثات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

قال كُميل بن زياد النخَعي صاحبُ سرّ علي :

أخذ عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه بيدي ، وأخرجني الى ناحية الجبّان . فلما أصْحر جعل يتنفس الصعداء ، ثم قال :

— ياكُمَيل ، القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها . احفظ عني ما أقول :

« الناس ثلاثة : فعالِمٌ ربّانيّ . ومتعلّم على سبيل النجاة . وهَمَجٌ رَعاعٌ ، أتباعُ كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا الى ركن وَثيق »

« العلم خيرٌ من المال ؛

« العلم يحرُسك وأنت تحرُس المال ؛

« العلم يزكو على الانفاق ، والمال تنقصه النفقة ؛

« العلم حاكمٌ والمال محكومٌ عليه ، ومحبة العلم دينٌ يُدان به ؛

« العلم يَكسبُ العالمَ الطاعةَ في حياته ، وجميلَ الأُحدوثة بعد وفاته ، وصنيعةُ المال تزول بزواله

« مات خُزّان المال وهم أحياء ؛ والعلماء باقون مابقي الدهر : أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة

« آه إنّ هاهنا علماً جمّاً (وأشار بيده الى صدره) لو أصبتُ له حَمَلَة . بلى ، أصبتُ لَقِناً غير مأمونٍ عليه : يستعمل آلةَ الدين للدنيا ، يستظهر بحُجَج الله على كتابه ، وبنِعَمه على عباده . أو منقاداً لاهل الحقّ لا بَصيرة له في أحنائه ، ينقدح الشكُّ في قلبه بأوّل عارض من شبهة ، لا ذا ولا ذاك . أو منهوماً باللذات ، سَلِسَ القِياد

للشهوات ، أو مغرًى بجمع الاموال والادّخار . ليسا من دُعاة الدين ، أقربُ شَبهًا بهما الانعام السائمة . كذلك يموت العلم بموت حامليه

« اللهم بلى ، لن تخلوَ الارض من قائم لله بحجة ، لكيلا تتعطّل حُجج الله وبيّناته . اولئك الاقلون عددا ، الاعظمون عند الله قدرا . بهم يدفع اللهُ عن حُججه حتى يؤدّوها الى نُظرائهم ، ويزرعوها في قلوب أشباههم . هجم بهم العلم على حقيقة الامر فاستلانوا ما استوعر منه المترَفون ، وأنِسوا بما استوحش منه الجاهلون . صحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحها معلقة بالملأ الاعلى . أولئك خلفاء الله في أرضه ودُعاته الى دينه

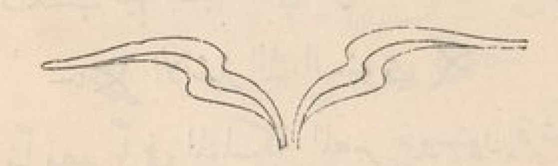
« هاه هاه ، شوقًا الى رؤيتهم ، وأستغفر الله لي ولك . اذا شئت فقم »

ذكره ابو نعيم فى (الحلية) وغيره . قال ابو بكر الخطيب : هذا حديث حسن من أحسن الاحاديث معنى وأشرفها لفظا . وانظر تفسير هذه المقالة الشريفة بقلم العلامة شمس الدين بن القيم في كتابه (مفتاح دار السعادة)

فهرس

صفحة

صفحة



الزهراء

مجلة علمية أدبية اجتماعية

تصدر في القاهرة في منتصف كل شهر عربي

صدر منها ثلاثة مجلدات ، وهي الآن في سنتها الرابعة

لمنشئها

محب الدين الخطيب

تعنى بوجه خاص بالابحاث العربية والاسلامية والشرقية

ويكتب فيها الطبقة العليا من العلماء والكتاب

الاشتراك السنوي

خمسون قرشاً مصرياً في المملكة المصرية وستون قرشاً في الخارج

وثمن الجزء ٥ قروش

تصدر من دار المطبعة السلفية - بمصر



صحيفة اسلامية علمية اخلاقية

تعنى بنشر الانباء والآراء عن المسلمين والاسلام

لصاحبها

محب الدين الخطيب

قيمة الاشتراك السنوي ٣٠ قرشاً في القطر المصري

و٥٠ في الخارج

﴿ تنشرها يوم الخميس من كل أسبوع ادارة ﴾

المطبعة السلفية - ومكتبتها

DATE DUE


10000068971

